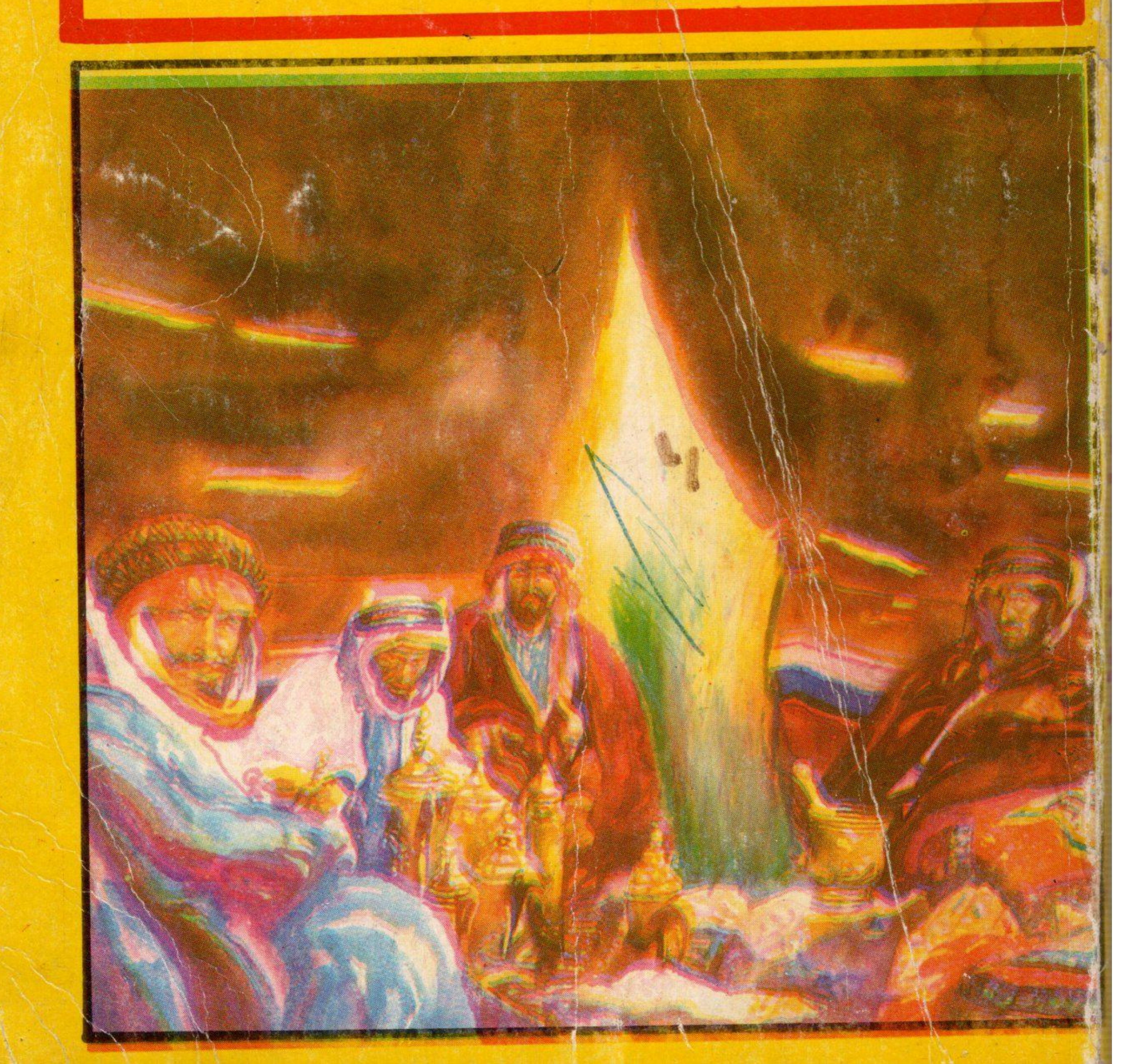
قصة حياة

سـداي العبـد الله

شاعر العتابا

تأليف محمد عجاج جرجيس





تأليف محمد عجاج جرجيس





مطبعة الديواني - بغداد
هاتف : ٨٨٧٦١٩٧

المقدمــة

لعلنـا اذا حاولنـا ان نـقـدم في هذا المبحث الصغير نموذجا لعلامة بارزة من علامات - عصر بـعيـد قريب - نكون قد اقتربنا من تقديم صورة من صور هذا العصر او هذه الفتـرة التـي خفي عنا مـنـها الكثير بالرغم من صغر الفاصلة الزمنية التـي تمتد بين ايامنا وبينها . وعلى الرغم مما قيل بحق هذه الفترة التي منها مـوضوع بـحثنـا مـن انـها فتـرة مـظلمة، لكنها بالتـأكيد لا تخلو من الشواخص والشـواهد التـي تـدلل على انها فترة فيها من نبض الحياة ما ينفي عنها كونها فتـرة مـيتـة أو فترة سبات - اي ان الذي نريد قوله هو الحكم على هذه الفترة الزمـنـيـة من حياة سلفنا يجب ان يكون حكما عادلا متأنيا يصدر بعد كثير دراسة وتـمـحيـص - وهذا ما ينقص هـذه الفترة وذلك لاسباب كثيرة وان كانت خارج نطاق بـحثـنـا، الا انه يمكن القول ان قصر الوسائل واختلاف طرق التصور هي من الاسباب الرئيسة التي يمكن ان توضع في المقدمة .

والفنــون اذ تـشـكـل جانبا من جوانب الحياة وصورة من صور النشاط الانساني في تعامله مع المؤثرات الحياتية فانها تصطبغ بصبغة العصر الذي نمت فيه.

والعتـابـا هي الفن الذي كان موضوع اختيارنا والذي طرحناه من خلال ما اشتهر من قائليه .

فالعتـابا فن شعري فيه من مسحة الحزن ومكنون النفس مـا يؤهله لان يكون صورة مـن صور العصر الصادقـة التـي عكـست بـعض مـواقـف انـسـانـنا امام صيغ الاستلاب

والتفاوت الحضاري.

وان كانت المساحة الجغرافية التي عرفت فيها العتابا بشكل واسع هي مساحة محدودة. الا ان لها من التأثير ما يستحق ان نقف امامها ولو للتأمل والاستخلاص.

وبالاضافة الى التحديد الجغرافي الذي قيلت فيه العتابا هناك بعض العشائر العربية التي نبغت بقولها اكثر من غيرها. وامتازت بنظمها. ومن هذه العشائر. عشيرة الجبور. حتى ذهب البعض الى القول بأن العتابا هي من نظم الجبور ومن ابتكارات فنونهم. ومن اشهر الناظمين بها هو الشاعر حمادي الجاسم الجبوري. الذي خفي الكثير من آثاره وصعبت على المتتبع اخباره.

اما الشاعر العلم الآخر في العتابا فهو عبد الله الفاضل من شيوخ عشيرة عنزة(١) الذائع الصيت. وهو ما اخترناه مثالا لموضوعنا ودراستنا عن العتابا أو بالتحديد عن قائل العتابا والظروف الخاصة التي عاشها والتي تعتبر المخاض الذي ولدت عنه وفيه العتابا.

ورغم انتشار وذيوع اخبار هذا الشاعر الا ان ما كتب عنه لا يتعدى نتفا في صحف متفرقة. وآخر ما قرأت عنه مقال الزميل خضر جمعة حسن الذي خص به مجلة التراث الشعبي.(٢)

وانا اتفق مع الكاتب طلال سالم الحديثي في كتابه "صور من حياتنا الشعبية"(٣) حين قال: "عبد الله الفاضل هذا انبهمت اخباره وتضارب ما انتشر منها".

بل واذهب الى ابعد من ذلك فكثير مما قيل من عتابا، نظم

ونسب الى عبد الله الفاضل ليكتسب صفة القبول وذلك لاسناده لمصدر معروف مقبول .

ونحن من تتبعنا لهذا البحث كان جل اعتمادنا على السماع أو ما قيل شفاها . وعلى ما ادلى به الرواة . لذلك اختلفت الروايات وتضاربت وهذا امر بديهي على موضوع تاريخي مر عليه من السنين ما مر ولم يثبت في محرر او يدون في كتاب .

ونحن اذا ثبتنا كل الروايات المقبولة الرئيسة منها ـ ما اتفق عليها اكثر من راو ـ في المتن وبقية الروايات في الهوامش فاننا تركنا للباحث والدارس حرية الاختيار والاستقصاء والمقارنة لاستخلاص المادة التاريخية وتثبت الحقائق خدمة للامانة التاريخية وخدمة للبحث التاريخي .

وفي بحثنا هذا ارتأينا ان نقسم المبحث الى مقدمة وثلاثة فصول اتبعناها في نهاية الكتاب بتدوين الهوامش والتعليقات والروايات الاضافية للحوادث .

نرجو ان نكون قد وفقنا في تقديم صورة واضحة لشاهد من شواهد عصر قريب سالف هو بحاجة الى تقديم المزيد من الصور والدراسات .

والله الموفق ...

راجعه وقدم له

احمد صالح خضر

● الفصل الاول

١ـ نسبه:

ينتسب عبد الله الفاضل الى عشيرة عنزة. وعنزة من العشائر العربية الكبيرة المنتشرة في منطقة البادية. وتنقسم عشيرة العنزة الى عدة بطون وأفخاذ، ومن هذه الافخاذ فخذ "الحسنة" الذي اشتهر وغطى البطن والعشيرة حتى راح يطلق عليه عشيرة الحسنة ومن اهم اسباب اشتهار الحسنة هو انتساب شاعرنا موضوع البحث عبد الله الفاضل لهذا الفخذ. ومن الحسنة تفرعت عدة فروع اهمها الفضول الذين انحدروا عن فاضل والد الشاعر عبد الله الفاضل. ومن الجدير بالذكر ان عبد الله الفاضل كان شيخا للحسنة فقط وليس لعشيرة عنزة بأكملها.

٢ـ موطنه:

اختلف في موضوع تحديد موطن معين للشيخ عبد الله الفاضل. كما ذكر اكثر من مكان لمسقط رأسه ووفاته. لكن الاجماع يكاد يكون منعقدا على ان موطنه كان متنقلا في منطقة الجزيرة في سورية وفي العراق.

ومن خلال متابعاتي لآثار هذا الشاعر اتضح لي ان اقامته الرئيسة في سورية ولكنه احيانا ينزل الى العراق وخاصة الى جزيرة الموصل في ايام الربيع سعيا وراء الماء والكلأ والغالب

ان عبد الله الفاضل في حله وترحاله تصحبه عشيرته التي كانت تملك الكثير من الابل والماشية.

وبما ان اقامته كما هي حالة اقامة اي من البدو الرحل فقد كان له أكثر من مسكن في أكثر من منطقة. وقد استطعنا تحديد أهم مناطق سكناه وهي:

- في قرية من قرى سورية وتسمى "اسريا" تابعة لمدينة سلمية (٥) ويوجد في هذه القرية بيت كبير وقديم ذو فناء واسع في داخل الفناء عدة آبار للمياه. وقد اتخذ هذا البيت في نهاية القرن التاسع عشر ومن بداية القرن العشرين محطة للقوافل التجارية بين الشام والموصل. ويطلق على هذا البيت قصر الشيخ عبد الله الفاضل العنزي (٦).

- مسكن آخر في سورية ايضا في قرية "البصيرة" (٧) وهذه المنطقة كان محلا لسكناه قبل ان يلم به المرض زيادة حيث كان وقتئذ قائدا لعشيرته. وقد وردت اشارة الى ان ذلك المسكن في بيت من العتابا قاله عندما بقي وحيدا مريضا في الديار وليس من معه الا كلبه الوفي شير. والبيت هو (٨):

هلي شالوا وخلوني ابصيره ١
عليهم تاه رأيي والبصيره ٢
عكب ما جنت حاكم بالبصيره ٣
على عيني محاتفني الغراب

ففي الشطر الثالث من هذا البيت يؤكد بوضوح ان منطقة البصيرة كان مقرا لحكمه ومسكنا وموطنا لعشيرة الحسنة

عندما كان قائدا لها .

ومــن هاتــين الروايتين يمكن تحديد موطن عبد الله الفاضل بهاتين المنطقتين. او بـعبـارة أخرى كان له موطنان في سوريا . الاول في اسريا قرب سلمية . والثاني في البصيرة عند التقاء الخابور بالفرات .

ومــن الملاحظ انه يمكن ان تكون منطقة البصيرة هي الموطن الاول الذي نشأ فيه عبـد الله الفاضل الى ان اصبح قائدا وحاكما في قومه . حيث كانوا يرحلون عنها ثم يعودون اليها .

امـا المنطقة الثانية فهي التي استقر فيها بعد ان شفى من المرض حيث استقر من حله وهجر الغزو والترحال نهائيا .

وبـالاضافة الى ما ورد آنفا فهناك اشارات ودلائل على ان عبد الله الفاضل سكن في العراق ايضا . ومن هذه الاشارات :

أ ـ تــوجـد منـطقـة جنوب المـوصل تـدعى "حضرة الفاضل" (٩) وحسب الروايـات المتـداولة انها تنسب بتسميتها الى الشيخ عبد الله الفاضل حيث انه سكن فيها مرة واحدة في موسم الربيع ونسبت اليه وسميت بأسمه(١٠) .

ب ـ ولنـا استنـتـاج خاص حول بيت العتابا الذي قاله عبد الله الفاضل والذي ورد فيـه اسم الكـلب شيـر ومـدلول هذه التسمية اذ انها كلمة كردية وقد قالها عبد الله الفاضل بدلالة لغوية واضحة(١١) .

هلك شالوا على مكحول ١ يا شير ٢
وخلولك من عظام الحيل ٣ يا شير ٤
يلو تبجي بكل الدمع ٥ يا شير ٦

هلك شالوا على حمص وحماه ٧

هنا لابد من الوقوف عند كلمة شير وتحليلها بدقة. فهي بالاصل كلمة كردية وليست عربية فأنى لهذا البدوي من اللغة الكردية ان لم يكن على الاقل سكن لفترة ما في منطقة محاذية او قريبة من المناطق الكردية. اضافة الى ذلك انه عرف معنى كلمة شير بالكردية وشبه كلبه بالاسد لقوته. من هذا يمكن الاستنتاج انه ربما سكن في منطقة قريبة من المناطق الكردية ويمكن حصرها على وجه التقريب بين جبلي سنجار ومكحول والموصل ولكن مع هذا يستبعد ان اهله رحلوا الى جبل مكحول في العراق. بل قد يكون للكلمة معنى آخر. انظر التفصيلات في الهامش رقم (١١).

والخلاصة انه لم يكن لعبد الله الفاضل مسكن ثابت بل كان ذا طبيعة بدوية والبدوي ارضه ظهر راحلته. فقد كان وعشيرته بدوا رحلا يتنقلون وراء القطر والكلأ يجوبون في سوريا في منطقة الخابور الا ان مركزهم البصيرة الذي يأوون اليه كلما ابتعدوا عنه. وفي الربيع يتنقلون ما بين العراق وسوريا فكانوا يترددون على جزيرة الموصل حتى وصلوا القيارة وسكنوا المكان الذي سمي حضرة الفاضل.

ولكن بعد مرضه استقر عبد الله الفاضل في حماة ثم عاد الى البصيرة واخيرا رحل الى حماة ومنها الى سلمية في قرية اسريا وابتنى له فيها بيتا كبيرا استقر فيه حتى وفاته.

٣ـ الفترة التاريخية:

في الواقـع مـن الصعوبة بمكان تحديد الفترة التاريخية التي عاشها عبد الله الفاضل. او بعبارة ادق لا يمكن تحديد تاريخ ولادته وتاريخ وفاته.

ولكـن مـن استقراء بعض الروايات يمكن تحديد هذه الفترة على وجه التقريب. او تـأشيـر نـقـطة تـاريـخيـة ثابتة تكون بمثابة دالة زمنية على ان عبد الله الفاضل عاصرها. ومنها يمكن تقدير عمره وبالتالي سنوات حياته بصورة تقريبية. ومن هذه الروايات:

الرواية الاولى :

تـقول هذه الرواية ان الشيخ عبد الله الفاضل بعد ان شفي من مرضه "المعجزة" تـنـقل سائحا في الصحراء مع طبيبة الـصلـبي. وخـلال سيـاحـتـه هـذه وصـل الى "تمـربـاش الملي" (١٢).

تـنـحصر بـاشويـة تـمـرباش الملي مـابين "١١٩٤ - ١٢٠٦هـ" (١٣)، حيث سكن عنده واشتـغـل في الـبـدايـة بـخدمـتـه وعمـل القهوة في ديوانه وكان يقول الشعر على الرباب. حيث اعجب به الباشا.

ومـن خلال مـلازمـتـه للبـاشا وقول الشعر والعزف على الرباب باستمرار امامه. اكـتـشف البـاشا حقيقته حيث كان على معرفة سابقة مع الشيخ عبد الله الفاضل. عندها اكرمه

واسكنه بيتا خاصا به وابطل عنه العمل.

الرواية الثانية:

وهي لرجل يذكر انه عاصر عبد الله الفاضل ولكنه لم يشاهده. الرواية تتلخص في ان الشيخ "عبد ربه" كان يسكن الخابور في نفس الوقت الذي كان يسكنه الشيخ عبد الله الفاضل. ولما توفي عبد ربه نعاه عبد الله الفاضل بهذا البيت من العتابا:

رحل منا العجيد البيه جنه
نزعم ونروم وهو ذرانه وبيه جنه
صفينه عكبه جاليتامى بيد جنه
رهاين والعدو بينه اشتفى(١٥)

حيث توفي عبد الله الفاضل بعد عبد ربه. وبما ان هذا الراوي يبلغ من العمر الان ١٢٠ سنة. وان تاريخ الحدث - وفاة عبد ربه حيث كان الراوي صغيرا - أي بحدود عشرة سنين - وعليه يستفاد من ذلك في تحديد تاريخ الحدث الدالة ١١٠ سنين تقريبا.

وبما ان الرواية الاولى تفيد ان عبد الله الفاضل اصيب بالمرض ثم تماثل للشفاء قبل حوالي ١٩٠ سنة. فالفرق بين الروايتين هو بحدود الثمانين عاما من المحتمل ان يكون قد عاشها عبد الله الفاضل بعد مرضه. وعليه يمكن القول ان عبد

الله عاش ما يقرب ١٢٠ سنة. اذا افترضنا انه اصيب بالمرض في سن الثلاثين او اقل وعاش بعد شفاءه ما يقرب الثمانين او التسعين عاما.

من ذلك يمكن تحديد ولادته بحدود ١١٨٠هـ ووفاته بحدود ١٣٠٠هـ.

٤ـ نشأته:

نشأ الشيخ عبد الله الفاضل وتربى في كنف والده الشيخ فاضل رئيس عشيرة الحسنة. فكان والده رجلا كريما. حيث تلقى عبد الله رعاية حسنة وتربية جيدة. فشب في الصحراء وتخلق بأخلاقها واكتسب عاداتها وتقاليدها التي يكثر التطاحن والقتال فيما بين قبائلها وعشائرها. حيث كانت كل قبيلة تطمع في أموال القبيلة الثانية. فكان الغزو والنهب من شيم البادية واخلاقياتها التي تمارس بافتخار بل ان القبيلة تقاس قيمتها وقوة شكيمتها بمقدار ما تغزو وتسلب من اموال القبائل الاخرى وعادة يكون شيخ القبيلة قائدا لقبيلته حيث تعظم مكانته الخاصة بين قومه وبين القبائل الاخرى وتكبر طرديا مع الغنائم التي يحصل عليها لقبيلته وقومه.

ومع انتشار مثل هذه الاخلاقيات فقد كان في البادية بعض الشيوخ الذين يرجحون جانب العقل والكياسة في اسلوب قيادتهم لقبائلهم على الجانب الحربي البحت. فكانوا يبنون مكانتهم القبلية ويعززونها بتغليب صفات انسانية اخرى

ومنها الكرم والتقدير العقلاني في معالجة الامور والمشاكل القبلية. والشيخ فاضل والد عبد الله الفاضل كان من اولئك الرجال الذين وصفوا صفة الكرم واطعام الضيف من اولى المسلمات التي يجب ان يتحلى بها من اراد لنفسه قيادة ولعشيرته سمعة طيبة. فالى جانب كونه فارسا شجاعا لا يشق له غبار الا انه آثر ان يقدم - الصينية على السيف - اي ان يتصف بالكرم ويبني شهرته ومجده واخلاقياته على اساس تقديم الطعام لمن يحتاجه. رغم ان الكثير من قومه كانوا يحبذون الغزو والقتال طمعا في المال والشهرة تعبيرا عما يعتمر في نفوسهم من حب للقتال والفروسية.

شب عبد الله الفاضل في كنف هذا الوالد الكريم فتخلق بخلقه الكريم وتعلم منه الخصال الحميدة فراح ينمي قابلياته العسكرية وشجاعته على ظهور الجياد الى ان اصبح فارسا يحسب له اكثر من حساب مما كان مدعاة الى أن يلتف حوله الكثير من قوم أبيه وبالأخص الشباب منهم ومن كان يفضل القتال والغزو في التعامل مع بوادي الصحراء. اضافة الى تشجيع والده له لما رأى فيه من المواصفات القتالية والشجاعة ليعوض به عما يفتقده نفسه من عزوف عن القتال. ولما تتطلبه مستلزمات العيش في هذا المجتمع القبلي من قوة شكيمة وصلب عود لرد طمع من يطمع في اموال الشيخ فاضل واموال عشيرته. فكان عبد الله هو من يملأ هذا المكان المطلوب. لذا عقدت له القيادة في الغزوات التي تقوم بها قبيلته حيث كان يدعى في العرف البدوي "عجيد" (١٦). حيث كان فاضل يخول ولده عبد

الله في القيادة العكسرية لقيادة قبيلته. واستمر هذا الحال يتعاظم مع تعاظم وازدياد التفاف القبيلة حول قيادة عبد الله، ومعنى هذا ازدياد مكانة عبد الله على حساب مكانة ابيه. حيث اخذت العشيرة تنقاد تدريجيا وراء عبد الله. ومثل هذه الحالة تشكل بداية لخرق عرف قبلي من غير المألوف خرقه وجود قيادتين او زعامتين لقبيلة واحدة. هل من الممكن ان يصبح الولد شيخا مع وجود الأب في الحياة وتمتعه بكل صفات الشيوخ. احس الشيخ فاضل بتنامي هذه الحالة لذا فكر بأن يشعل لولده الضوء الاخضر ويؤشر له المكان غير الطبيعي الذي راح يأخذه.

فقد كان لعبد الله اضافة الى فرسه التي يركبها في الطراد والقتال. كانت له ناقة صغيرة يسميها (الخويصة) يربيها ويدربها على فنون الجري والقتال والانسحاب وغير ذلك من فنون القتال لتصبح ركوبة احتياطية له لقطع الفيافي. وكان يحبها كثيرا ويطعمها بنفسه ويسقيها بيديه.

بدت الخويصة لفاضل مادة يمكن ان يغيض بها عبد الله ففكر بذبحها. وفي ذات يوم واثناء غياب عبد الله نزل على الشيخ فاضل ضيوف اثناء الليل اهتدوا بضوء ناره التي لا تنطفي. رحب بهم فاضل وعمد الى الخويصة فنحرها لهم ثم نشر جلدها على مرس البيت "الطارفة" (١٧).

وفي اليوم التالي عاد عبد الله من غيبته فتفقد ناقته ولكنه لم يجدها. شاهد جلدها منشورا ولكنه استبعد ان يصدق انه بالامكان ذبحها فهي بمنزلة احد اولاده. ولما سأل عنها بادره والده:

"ذاك جلدها هالمنشور على الطارفة روح تكبع بيه "
أغتاظ عبد الله من هذا الامر وقال لوالده:

" ما عندك غيرها حتى تذبحها "اي هل نفذت جميع الابل وبقيت الوحيدة حتى لا الولد يريد تبريرا مقنعا لذبحها. والوالد يتذرع بأن ضيوفه اعزاء ويستحقون ان يذبح لهم أغلى الحلال. الى ان اتفق الاثنان على "الحق" وهو ان يحتكما سوية عند العشائر في البادية. فأختار الاب العارفة المشهور في ذلك الوقت في بادية الشام ـ سوريا ـ أبن الزميلي (١٨).

ركب الاثنان واتجها الى العارفة ليعرفا من منهما على حق واي منهما على باطل واتفقا على ان تكون نتيجة التحكيم هي الشيخة. اي ان الذي يكون الحق بجانبه سيكون شيخ القبيلة. اي ان الناقة كانت المقدمة لموضوع الخلاف الاساس وهو التنافس على الشيخة.

لذا فأن كل واحد منهما سافر ومعه من الاعذار والحجج ما يمكن ان يدعم موقفه كشيخ.

وعندما وصلا الى العارفة ادلى كل بدلوه.

ففافضل افاض بأنه جعل من بيته مجزرة لابله وبابه مفتوح لضيفه. اما عبد الله فقد ذكر انه كان يفدي نفسه امام جماعته لزيادة كسب المال لهم.

وقد تقدم كل واحد منهما بموضوعه بقصيدة.

فكان ان تقدم الاب مخاطبا الحكم:

يبن الزميلي ناشدينك بالله

اتجدي احظوظك عالدروب ومابه

انت اغلام ما تكول اللا الصدك

ولا حجايا الناس ماتشكى ابه

حليت سيري جيت انام ابمركدي

هدوه وني اسمه نديه ارجابه

اول كلام ابديلهم كولة مرحبه

وسمن سمين وتاتلين اركابه

وامرت عليهم بمزبور التمن

ولحم الخويصه املطخ بجنابه

هذا وما حجيلك يابن الزميلي

واليبتلي بكالة الخلص مابه

ولما أنتهى اومأ الحكم الى عبد الله الفاضل ان يتقدم بحجته. فتقدم بقصيدة ايضا ومطلعها نفس مطلع قصيدة ابيه"

يبن الزميلي ناشدينك بالله

اتجدي احظوظك عالدروب ومابه

انت اغلام ما تكول اللا الصدك

ولا حجايا الناس ماتشكى ابه

هو اكرم مني واني اجر له

اني اجمع اموالي اريد اكوى به

البارحة جتنا امن المعادي جلمه

الجلمة اللي ما جلب جيابه

عدوا فوارسهم ال لكوة باجر

ون جريمهه يحسب مع غيابه

ون جريمهه مع العذارى جاعد

اللي كلايدهه ابوسط اركابه

واني اردهه والعلابي يبس

والخيل غرب من تحت ركابه

وجم حمرة عكبت بمنايه

وجم صفرة خايب جيابه

والروح ما تنباع بالف وميه

والروح عند الدرك اني افدابه

هذا وما حجيلك يابن الزميلي

واليبتلي بكاله ايخلص ما ابهه(١٩)

ولما فرغ عبد الله الفاضل من قصيدته ساد المجلس سكون تام (٧٠) بانتظار قرار الحكم من الحاكم "العارفة" . عندها نهض العارفة على قدميه عندما يقول الحكم او على ركبتيه اذا كان كبيرا ويعجز عن الوقوف ـ ثم قال بيتا من الشعر على نفس وزن قصيدتي المحتكمين بها فصل الخطاب :

المرجلة مثل الشمس شبت الضحى

والكرم ظلمة وتايه من سرى ابهه (٢١)

عجب اغلب الحاضرين من القرار فسألوه عن سبب الحكم. والسؤال هنا لا يعني الاعتراض على قرار الحكم. وانما

لتوضيح الاسس التي بني عليها القرار.

فرد عليهم العارفة بأن الرجل الشجاع هو اساسا رجل كريم اذ يفدي نفسه. والروح لا تباع ولا تشترى. اما المال فيمكن تعويضه بمال ثان. اضافة الى ذلك ان الشجاع في المعركة تلوذ به الارواح فيحتمي به الاسير والكسير والضعيف والعاجز.

وبهذا نرى ان نتيجة النزاع حسمت واصبح الحق بجانب عبد الله حيث اصبح بعدها هو شيخ العشيرة اضافة الى ما كان يتمتع به سابقا من كونه عجيدا لها. اي انه اصبح الرجل الاول فيها واصبح الرأس المدبر لها فحكم حكا عادلا وقاد عشيرته من مجد الى مجد واشتهرت عشيرته شهرة واسعة واسمه طغى على الكل حتى ان العشيرة سميت بأسمه "عرب عبد الله الفاضل" بينما انزوى الاب مع احتفاظه بما يملك من كرم الخلق وكرم الطباع انزوى وبقيت ناره مضرمة بانتظار الضيوف وابله تنحر في مناسبة وغير مناسبة.

٥ـ صفاتـه:

أـ الشجاعة:

عبد اللـه وشيخ العبيـد:

من المعروف ان عشيرة العبيد كانت ضاربة في انحاء الجزيرة ـ جزيرة العراق ـ وحتى الشام ولكن عشيرة شمر سيطرت على الجزيرة فانتقلت عشيرة العبيد الى منطقة الحويجة ـ حاليا في محافظة التأميم ـ وسميت بأسمهم "حويجة العبيد"

والجزيرة سميت بأسم شمر أو باسم شيخها فارس الجربة ولهذا تسمى جزيرة فارس.

وموضوعنا هو انه كانت بين عشيرة العبيد وعشيرة عنزة وخاصة "الحسنة" ثارات قبلية بسبب الغزوات المتعاقبة واستمر هذا الحال حتى وصلت حدا يصعب احتماله فلما اصبحت قيادة عشيرة الحسنة بيد عبد الله الفاضل فكر بأن ينهي هذا الموضوع ويتخلى عن الثارات القديمة ويبني علاقة حسن جوار مع العبيد. فارسل رسلا الى شيخ العبيد سلمان بيك الشاوي فكان الرد بالايجاب. وبعد تبادل الرسائل اتفق الطرفان على ان يتم الصلح في بيت الشاوي. فجاءت عشيرة - الحسنة - بقيادة عبد الله ومعه أبوه وفرسان العشيرة فأستقبلهم الشاوي مرحبا. وتصافح القائدان وبقيت الفوارس ممتطية ظهور خيولها بانتظار ان يجلس القائدان ويؤشران لهم بالنزول ولكن مصافحة القائدان طالت وتحول سلامهما الى مطارحة شعرية ابتدأها عبد الله الفاضل قائلا (٢٢):

هلي عز النزيل او عز منكال ٢
اثكال الروز ٣ ماهم حجر منكال ٣
انجان الناس مي انهظل ٥ من كول ٦
هلي نيسان طم العاليات.

فرد عليه الشاوي قائلا: (٢٣)

هلي للنار كاموا يشبون ١
وبكل مركب عال يشبون ٢
هلي ما دنوا سبايا ٣ يشبون ٤
خلوهن حيل لطراد الضحى.

فغضب كل منهما على الآخر وثارت حميته وسحب سيفه الى النصف يريد ان يفتك بالآخر فدخل بينهما بعض الرجال المسنين ونبهوهما الى انهما جاءا للمصالحة وليس للمناظرة والقتال والمبارزة.
عندها اعتذر كل منهما من صاحبه فجلسا وسمحا لرجالهما بالجلوس. وفي هذا الوقت قيل الكثير من الشعر ـ ولكن للاسف لم نستطع الحصول على شيء منه. ثم تم الصلح بين القبيلتين ولم يحدث قتال بين العشيرتين بعد ذلك(٢٤).

ب ـ الكرم:

اشتهر عبد الله الفاضل بالفروسية والقتال اكثر من شهرته في الكرم والعطاء اضافة الى ان كرم والده كان مغطيا على كرمه. ولكن واقع الحال يؤكد ان الشيخ عبد الله الفاضل كان رجلا كريما وان صفة الكرم فيه لا تقل شأنا عن صفاته الاخرى وهناك الكثير من المآثر التي تؤكد ذلك ومن هذه الشواهد هي قضية السبيعي وتسمى "سالفة السبيعي " وملخصها:
ان رجلا كريما من البادية يسمى السبيعي صادف ان

عجفت سنونه وانسدت امامه ابواب الرزق ولم يبق له الا فرسه فساح هائما على وجهه عله يجد حيلة يسد بها رمق اطفاله حيث فكر ان يبيع فرسه فراح يعرضها للبيع الى من يذكر له بأن له نية في الشراء. فذكر له رجل يريد ان يشتري فرس. سافر اليه فوجده راعيا يرعى غنمه فعرف ان ليس مثل هذا هو الذي يمكن ان يشتري فرسه وليس باستطاعته ان يدفع ثمنها او بعضه. فما كان منه الا ان قصد الشيخ عبد الله الفاضل حيث استقبله عبد الله واستضافه ثلاثة ايام واكرمه وفي اليوم الثالث لاقامته سأله عن مقصده فأخبره أنه يريد ان يبيع فرسه. ولكن عبد الله تفرس في وجه هذا الرجل وعرف من فراسته ان مثل هذا الرجل لا يمكن ان يبيع فرسه الا لظروف اقوى من ارادته. ولكنه مع هذا اتفق معه على ثمن شراء الفرس ودفع له الثمن ثم اعطاه فرسه وقال للرجل ان هذه الفرس ليست للبيع ولا يمكن لي شراءها. فشكره السبيعي حسن صنيعه وكرمه ثم اخذ الفرس وثمنها بعد ان مدحه بهذه القصيدة التي بقيت واحدة من الشواهد الدالة على كرم الشيخ الفاضل:

ايكول السبيعي عالذي تنيتله
حازمية ماجا الفحل لي اجفالها

ارجبتها من خشم بانان منتوي
على الله طلوع الدلي في حبالها

جلبت من ذروى نجد جلويه
على غير اهلهه ما تجيب راس مالها

مانـــي جالبـها لـراعي ضوايـــن

مار يـبجي لي مات الطفـل من عيالهـا

أني جالبها على الشيخ ابن فاضل

يوم اكبلت حيا ابهـــه وانتبالهـا

محفـــوظ مـــن مأمونـــة مازنت بـه

ولا واعلت جن الهـزالـــى وجالهـــه

لهـو ربعـــة مبنيـــة مزيـديـــة

واف الطعام وريف الهـزالـى اضلالهـه

تلكى ابهـه شيخ الشيوخ ابن فاضل

دنى ال كـــالات تجيلـــه وشالهـــه

عبد الله اللي بالكدن تنيتلـــه

كبـه كحوم وشغـــل مصـــر اجلالهـا

* * * * * *

* الفصل الثاني

١ـ اصابته بالجدري:

لا يختلف اثنان من الرواة في مسألة مرض الشيخ عبد الله الفاضل وتركه في الديار وحيدا. فعندما كان عبد الله في عز شبابه وقوته اصيب بمرض الجدري الذي كان يسمى وحسب مصطلحات اهل البادية "الوكر". وكان اطباء البادية هم من تعلموا حرفة التطبيب عن طريق المشاهدة والممارسة ويسمون الحكماء ـ المفرد حكيم. اما الصيدلة فكانت الاعشاب البرية التي كان يتعامل معها الحكماء بتصرف. اما اهم العمليات الطبية فكانت الكوي بالنار والوخز بالابر وما الى ذلك من العمليات التي تعتمد غالبا على الفراسة والمهارة والعلم التجريبي. وبهذه الطرق كانوا يعالجون مختلف الامراض المعروفة لديهم. ومن هذه الامراض مرض الجدري الذي كانت معالجته ممكنة اذا كانت الاصابة في بدايتها وكانت خفيفة. اما اذا ازمن المرض واستفحل فيكون من الصعوبة بمكان علاجه. وبما انه مرض معد. فقد كان من المألوف ترك المصاب في الديار وحيدا والرحيل عن المنطقة. فمهما كان المصاب عزيزا فالمصلحة العامة تقتضي ان يترك لوحده يلاقي مصيره بانتظار الموت المحتم او ان تتعجله كواسر الصحراء وجوارحها. خوفا من يعدي بمرضه بقية افراد العشيرة فينتشر المرض ويتفشى الوباء. فكان الترك بمثابة المصح او العزل النهائي. وهذا الحكم العرفي على

الكل ان يتقبله سواء عن قناعة او كرها .

والشيخ عبد الله الفاضل لما اصيب بهذا المرض وبذلت المحاولات اليائسة لعلاجه ووصلت حالته الحد الذي يقتضي ان يحكم عليه بالترك وحيدا. فكان امر مقضيا. اذا اجريت الاستعدادات لتركه والرحيل عن الديار كما هيء لمن يستلم قيادة العشيرة خلفا له حيث كان له أخ أصغر منه سنا . كان شغوفا في التربع على العرش الذي كان يملأه أخيه بل وصل به الجشع الى ان يتزوج زوجه اخيه ليلى . فكان له ما أراد .

ولما اعلن موعد الرحيل ترك القوم عبد الله طريحا في فراشه يستظل بظل بيت صغير من الشعر يحيط به ستار من الحطب على شكل فناء يسمى "صيرة" وقد ذبحوا له جزورا من الابل "ناقة" وتركوا لحمها بجانبه بعد ان طبخوه اضافة الى قربه من الماء وهم على قناعة تامة بأن عبد الله لا يستطيع ان ينهض ويأكل ولكنها اجراءات لتطييب الخاطر او لاقناع النفوس بتصرفات غير مقنعة اصلا .

ولما أظعن القوم وسارت الابل . حاولت ثريا ـ زوجته المختارة ـ ان تبقى معه تطارحه الألم والمرض وتنتظر مصيرها معه . ولكن الحكم الجماعي اجبرها على ان تتركه وترحل مع القوم فحملوها قسرا على الجمل . وهكذا بقي وحيدا ولم يبق معه الا كلبه "شير" الذي كان يرافقه في رحلات صيد ايام العز .

٢ـ البقاء في الديار:

سار الظعن وقبل مسيره جاءت ثريا مودعة عبد الله فقبلته وهي باكية. اما زوجته الثانية ليلى قد اتفقت مع اخيه على ان يتزوجا ويصبح شيخا بعد ان يترك عبد الله لمصيره. وفعلا اتما ما اتفقا عليه بعد ذلك.

ولما ازفت ساعة الرحيل فقدمت ليلى لتودع عبد الله وكانت مخفية وجهها اما خوفا من العدوى . او قد تكون قد اعترتها نوبة خجل لما دنت منه وهي على موقفها المخجل مودعة.. فقد كانت مغشية الوجه ولا يظهر منها الا عيناها حيث وقفت فوقه وودعته وداعا يخلو من المشاعر التي يفرضها الموقف او المشاعر المفروض ان تتولد من حياة زوجية مما حز في نفسه كثيرا. كما ان اخاه لم يودعه او حتى يمر عليه فعرف ما بيت له. حيث قال:

يليلى مخفية الوجنة بس العين
وسر مالح مع الجازي بس العين
اني المطعن من هوى ليلى بس اعن
ولا لكمان وصفلي دوى(٣٠)

اما زوجته الثالثة دنيا فلم يظهر لها موقف محدد لا اثناء مرضه ولا اثناء الرحيل. وكذلك عند عودته. والظاهر انها تزوجت بعده. حيث يذكر عبد الله في احد ابيات العتابا ان دنيا خانته. والخيانة هنا يعني بها انها تزوجت من غيره.

وذلك يستدل من بيت العتابا الذي قاله عندما جاء بصورة متخفية وبهيئة متنكرة الى البيت حيث سلم ولم يرد عليه السلام الا القليل من الجلوس فجلس على الارض ولم يعره احد بالا اعتقادا من الكل انه رجل من الصليب او انه قد يكون متسولا. واثناء جلوسه سمع صوت النساء في المحرم. وصوت النساء هنا ورد فيه اختلاف - فقسم من الروايات ذكرت بأنه كان صوت بكاء وعويل وعندما سأل عن السبب قيل له لقد ورد خبر وفاة عبد الله الفاضل ومعادته قائمة.

اما الروايات الاخرى فقد قالت العكس. حيث ذكرت الروايات ان الصوت هو صوت فرح وزغاريد حيث كان يوم زواج دنيا أرملة عبد الله الفاضل.

والصحة في أي من الروايتين تؤدي الى نفس النتيجة. أثارت مشاعر عبد الله ولمست جروحه مما دعاه الى ان يقول البيت التالي من العتابا (٢٨):

كصت يهل المروه بجيل دنياي ١
جده حظي وخانت بي دنياي ٢
ولحد كال يا مسكين دنياي ٣
وتكلط ٤ ع الفراش اعن التراب

ولما انتهى من قول بيته نهض وغادر ولم ينتبه اليه احد. الا ان جليسه بعد ان حلل معنى البيت فهم انه كان يقصد ان الدنيا اوقعت بأهل المرؤة ويقصد نفسه وحتى زوجته دنيا

خانت عهده فتزوجت من غيره. وان احد من الجالسين لم يقل له تقدم واجلس على الفراش بدل التراب. ولكن البيت لم يفهم الا بعد ان توارى قائله بعيدا.

وعندما كانوا منشغلين بالتحميل وضوضاء القوم وجعجعة الجيران ورغاء الابل كان عبد الله يصيح طالبا الماء ولكن صياحه ضاع وسط هذه الحلبة فلم يلتفت اليه احد سواء بقصد اهماله واهمال طلباته او ان صوته كان ضعيفا فلم يسمع. فلما رأى عبد الله ان صوته لم يعد له سامع سكت. وبقى واجما يتأمل انشغال القوم عنه وكيف حملوا ظعونهم وسيحوا ماء القرب الزائد عن الحاجة لطيها وتحميلها فأثر منظر الماء يسيح على التراب وهو عطش فكان اذ قال: (٣١)

هلي شالوا وما ساكوني ١
وخلوني شبيه الماسوك اني ٢
طلبت الماي منهم ما اسكوني ٣
يويلي من هلي بان الردى

ولما ابتعد الظعن ولم يبقى معه الا كلبه شير الذي كان حائرا بين اللحاق بالظعن كعادته امام البقاء مع صاحبه. فكان يركض مسافة كأنه يريد اللحاق بالضعن ثم يعوي ويعود ليقف امام عبد الله. وعبد الله يتأمل هذه الحيوان الذي مزقته مشاعر الصداقة والالفة في الوقت الذي لم يجد أيا من تلك المشاعر في بني الانسان من قومه. مما دعاه الى ان يخاطب كلبه شير بلغة المشاعر بما فاض به من شعر: (٣٢)

هلك شالوا علامك حول يا شير؟
وخلولك من عظام الحيل ياشير
يلو تبجي بكل الدمع يا شير
هلك شالوا على حمص وحماه

وشاءت الاقدار ان عبد الله لم يمت كما كان متوقعا له بل بقي حيا في صيرته بدون طعام أو ماء والى جانبه شير يرد عنه الحيوانات المفترسة الى ان جاء الفرج فككان العلاج.

وهذه الفترة التي بقي فيها عبد الله وحيدا طريح الفراش، يغالب المرض والوحدة وتأثير ترك الاهل والخليل. مشلول القوام مجدور الوجه الا ان داخله كان عبارة عن كتلة ملتهبة من المشاعر الفياضة المنبعثة من بواطن النفس الانسانية المثلومة. من خلال المعاناة الحقيقية لمأساته كان يناجي المخلص الوحيد شير. في هذه الفترة قال افضل ما جادت به قريحته من العتابا. والا ان الكثير مما قاله ضاع ولم يمكن العثور عليه. اما لأنه لم يردده مرة ثانية عندما تغير الحال واختلفت الارضية التي من عليها وصف مأساته. او قد يكون ضاع لاسباب اخرى الا انه امكننا الحصول عليه مما يلي من الشعر: (٣٣)

هلي شالوا وخلوني جعود ١ ابطن شالوا ٢
و...
وعلى حدب الضهور اليوم شالوا ٤
وحالت دونهم كور وسراب

هلي شالوا بليل وماشاروني ١ (٣٤)
ولعازات الليالي ما شاروني ٢
اني البظيم حالي مشهراني ٣
صبر ماني لجوج اعله الجرا
اريد ابجي ١ على روحي ٢ وناحي ٣ (٣٥)
ابعيني ٤ حليت ٥ الدنيا وناحي ٦
صديج الهارحم حالي وناحي ٧
شلي بيه يوم ردات التراب ٨
على كلبي جثير حساب ١ والهم ٢ (٣٦)
يبيدي لسحن الذرنوح ٣ والهم ٤
ولا وليد ايزيح الغيث والهم
بلجي يصير للعله دوى
اريدك تسرع بحالي يا جود ١
ترى جمر الغضا ٢ بجشاي ماجود ٣
شلون ارجى العبد والرب ماجود ٤
حرفاته ٥ على المثلي كراب ٦
هلي شالوا وخلوني بدرهم ١ (٣٨)
وخلوني جما الهايم بدرهم ٢
متى تضوي على ليلي بدرهم ٣
وتعزل الظلام من الضوى
هلي شدوا على مرحال واني ١ (٣٩)
سجيم ولا ركالي حال واني ٢
نحبت يوم فركا الولف والني ٣
سهج ٤ ولا نكل جبده غثى

هلي لا جابهم صايح ولوماي ١ (٤٠)
ولا ينفع بهم عازل ولوماي ٢
نوم العليل الماء تهياله دوى ٣
يوم فراك خلي مسعداني ١ (٤١)
ولولا ارفج معاهم مسعداني ٢
يويل البوذهانه مسعداني ٣
يموت وما حظم جبده غثى

٣ـ العلاج والشفاء من المرض:

وتشاء الصدف ان يمر رجل من الصليب سائحا في الصحراء ومثل هذا الرجل يطلق عليه "ابو الخلا" (٤٢) راكبا دابته (٤٣) ان يمر بالمنطقة فشاهد الخيمة ضاربة لوحدها في عرض الصحراء عرج اليها قاصدا ضيافة اهلها. ولكنه لما وصل الخيمة وجد فيها رجلا مجدورا طريح فراشه. هذا المشهد لم يفاجأ به. لأنه من المناظر المألوفة بالنسبة لشخص مثله يعتبر بريد الصحراء وصحافتها. ولكنه تمهل قليلا ليتأكد من ان هذا المجدور هل هو حي ام ميت ام فاقد وعيه. ثم من يكون؟ فبادره بسؤال يمكن ان يستثيره به (٤٤):

يهل بالدار ظعن الولف شالوين ١؟

فرد عليه عبد الله الفاضل:

جزى فج خلي وحزوم شلوين٢
آني الكصوا من ضمير حشاي شلوين ٣
وجلوهن على جمر الغضا

ولما سمع منه ابو الخلا هذا الرد تأكد من حياته ومن انه في كامل وعيه قيل بل انه شاعر لسرعة بديهيته. فاقترب منه وسلم عليه. ثم تفحصه وقرر مع نفسه ان يعالجه.

لأن المعروف عن الصليب انهم اطباء البادية ولهم خبرة واسعة في هذا الموضوع. فجلس بالقرب منه واخذ يسأله ليعرف من هو. فعرف ان ذلك الشيخ عبد الله الفاضل صاحب الفضل السابق عليه وعرف قصته لذلك أوعده بأنه سوف يبذل كل ما في وسعه ليعالجه فودعه وقفل راجعا الى اهله ومن هناك حمل بيته الذي يدعى "اخبية" (٤٥) واحضر اهله واحضر معه دواء بنى خيمته بالقرب من خيمة عبد الله. وابتدأ معه رحلة العلاج والتي يلاحظ منها ان هذا الصلبي كان على دراية بأصول التطبيب والمعالجة.

فكان ان أطعمه سمنا حيوانيا ثم حفر له قبوا داخل البيت بطول الرجل وبعمق يكفي ان يتمدد فيه وبعد ان نظفه من التراب اشعل فيه نار الى ان احترقت ارضه وجوانبه ليكون معقما اولا وليكون دافئا ثانيا. ثم خلع من عليه جميع ملابسه واحرقها. ثم نظفه بماء دافيء مطبوخ فيه عيدان الشنان (٤٦) وبعد ان نشفه طلاه بدهان احضره من النباتات البرية. ثم ألبسه ثوبا نظيفا وخفيفا وبعدها مدده

بالقبو .

وابتدأ يطعمه لحم الغزلان والطيور التي كان يصطادها . واستمر على هذه الحال واستمر معه الدواء فكان يستجيب للعلاج ولكن بصورة بطيئة ولكن كان يتماثل للشفاء بصورة تدريجية .. الى ان شفي من مرض الجدري . الا ان آثار المرض غيرت معالم وجهه ولا نعرف بالضبط هل ان علاج المرض بهذه الصورة ام ان هذا الدواء هو الذي يترك هذا الناتج العرضي وهو تغيير معالم الوجه . فالى جانب الحفر المعروفة التي يتركها مرض الجدري في الوجه . فقد تغير لون بشرته الى اسود فاحم . وبذلك اصبح على هيئة يصعب ان يعرف معها من قبل اقرب الناس اليه .

فلما تماثل للشفاء واستعاد عافيته قرر الصلبي ان يواصل ناموس حياته ضاربا عرض البادية بطولها . فقرر عبد الله ان يسافر معه ويدعي انه صليبلي ايضا . وهكذا خاض عبد الله تجربة حياة ثانية بعد شبه ممات فبعد ان كان شيخ قومه نجده الان رجلا من الصليب يضرب على ربابته امام شيوخ العرب وفي مجالسها يتلقى الهبات ويأكل من بقايا فتات الموائد .

وقد قال في هذه الفترة الكثير من الشعر على الرباب ومن جملة ما وصلنا مما قاله (٤٨) :

الناس اثبات مستر ١ وانابات ٢
اعظ الشف ٣ بالضاحج ٤ ونابات ٥
على طول تلكاني ٦ بهم و٧ نابات

اسفه للدليل عن الغشى

وقال ايضا (٤٩):

على مر او جفا يا كلب دامن ١
ولا تذكر ليالي السعد دامن ٢
علواه ٣ الجان ساكنله بوسط دامن ٤
ولا مكشف احواله ع الجناب ٥

٤ـ فترة ما بعد الشفـاء:

بعد ان شفي تماما من مرضه وساح مع الصليب وعاش حياتهم في حل وترحال في عرض الصحراء يتنقلون من مضارب قوم الى مضارب شيخ قوم آخر يسألون الناس عن حوائجهم ان كان مريضا عالجوه او من التبس عليه امرا قرأوا له فأله وطالعوا له بخته وعبد الله معهم ومعه ربابته وآلام مأساته الكاتمها الا من متنفس وحيد هو الشعر والرباب حيث لا صنعة له يصنع بين قومه الجدد ـ الصليب ـ فكانوا كلما حلوا عند قوم اتجه الرجال منهم الى دواوين القوم والنساء الى البيوت يعملن في الطب وعمل الاسنان الاصطناعية البراقة "سن ذهب او شبه ذهب".

وفي ذات يوم نزلوا على مضيف شيخ في جزيرة سوريا وبعد ان ثبتوا اطناب البيت جاء الصلبي الطبيب وعبد الله الى الديوان فسلما على المجلس وجلسا في آخر المجلس ولكن احدا من الجلوس لم يعرهما بالا كما انه لم تقدم لهما

القهوة. لان فنجان القهوة في عرب البادية له دلالات وقيمة فيقدم للرجل حسب منزلته من قومه وحسب منزلة قومه من القبائل الاخرى.

والصليب من الاقوام التي لا تحمل سيفا ولا تحمل قدرا عند العرب وحسب عرفهم فكان من المألوف ان لا يقدم فنجان القهوة الى رجل من هؤلاء. ولما جاء وقت الطعام ودارت الابارق على الجالسين لم تمر هذه الابارق على عبد الله وصاحبه ليغسلا يديهما.

ثم صاح البلشتي (٥٠) "يالله يالربع وافجوا على عشاكم" فنهض الجميع باستثناء هذان الاثنان. فلما انفض الجميع عن المائدة حملها البلشتي ورماها امام الصليب. فنهض الصلبي وغسل يديه وبدأ يأكل لأن مثل هذه المسألة مسألة مألوفة لديه وهذا هو موقعه. اما عبد الله فبرغم انه كان ولفترة يمثل المشهد. فلم يقم مع صاحبه ولما صاح عليه البلشتي (كوم على عشاك" امتنع عن الاكل. انتبه الشيخ الى هذا الحادث فتعجب مما رأى - صلبي لا يأكل اكل الشيخ - اي فضلة الضيفان - ثم سأله:

"يبه ليه ما تأكل فضلة ضيفانا انت منو؟"

فرد عليه عبد الله بعدد من ابيات العتابا (٥١)

هلي عز النزل وعز منزل ١

دوم الهم على الدربين منزل ٢

الناس اعشوب واهلي نبت منزل ٣

خضر ما يسة بارح هوى

وقال (٥٢):

هلي ما لبسوا خادم من الصوف ١
ولا جزوا ٢ ذبيحتهم من الصوف ٣
هلي يالبيضة التزلت من الصوف ٤
كلمن ضاكهة ما ظنة طاب

وقال (٥٣):

هلي مركب بنص البحر ما مال ١
هديب ٢ وجدموله الحمل ما مال ٣
لعب بيه زماني ابكثر ٤ ما مال ٥
وخلاني دحايس بالجناب

وقال (٥٤):

هلي يا زهرة العربان من دور ١
اجدودي والبكاية ٢ حجر من دور ٣
هلي كبل الخليقة انزلوا من الدور ٤
النبي يومن تلطف بالكتاب

فلما سمع منه الشيخ هذا الرد غضب وثارت ثائرته وقال هذا القول ينطبق على العرب ولا يمكن ان ينطبق على الصليب ثم طلب منه تأكيدا لما قال والا فصل رأسه عن جسده. ثم أخبره انه رجل عربي يدعى عبد الله الفاضل

وليس صلبيا وان اهله يسكنون الحسنة وأنه بأستطاعته أن يتأكد من كرمهم وسمو مكانتهم. عندها احتجز الشيخ عبد الله وصاحبه الصلبي عنده وأرسل رسلا الى الحسنة ليتأكد من صدق قول عبد الله سافر الرسل الى الحسنة ونزلوا عند قوم عبد الله وبقوا ثلاثة ايام حيث اكرموا اكراما شديدا فكانت تذبح لهم يوميا ذبيحتان. وفي اليوم الرابع سؤلوا عن قصدهم فأخبروهم بالقصة ثم عادوا الى شيخهم حيث اخبروه ان اهل عبد الله اكثر مما وصفهم فصفح عنه واكرمه مالا اهداه عبد الله بدوره الى صاحبه الصلبي. اما اهل عبد الله وقومه بعد ان سمعوا القصة فقد اثارت فيهم اكثر من شك. فعبد الله وحسب قناعتهم قد تأكد موته او شبه تأكد.

سافر عبد الله وصاحبه من ديوان هذا الشيخ واتجه شمالا الى ان نزلوا على عرب ضاربة بالقرب من الحدود العربية التركية - الحدود السورية التركية حاليا. ونصبوا خيامهم هناك. وهناك قرر عبد الله ان يعمل بكتفه ويكف عن التجوال والتردد على دواوين الشيوخ. حيث جاء الى شيخ تلك القبيلة (٥٦) واستضاف عنده وعرض عليه العمل وان مهنته "كهوجي" اي يقوم باعداد القهوة وصبها للجلوس فوافق الشيخ على ان تكون اجرة عمله هي معيشته ومعيشة جماعته - بيت الصلبي صاحبه - على نفقة الشيخ. ثم بدأ عمله هذا واستمر فيه عدة اشهر وهو خادم المضيف ولا احد يعرف من هو كما ان جماعته يمارسون عملهم وصنعتهم. وفي يوم من الايام حل عند الشيخ جماعة من

وجهاء القبائل فأراد الشيخ ان يظهر لهم كرمه فنحر لهم جزورا من الابل، لكنه انتبه الى ان "الكهوجي" قد سملت ملابسه واصبحت بالية ومثل هذا المنظر له مأخذ عليه حيث يعتبر في نظر العرب نقصا على الشيخ ان تكون ملابس عامله قديمة وبالية لذا امر احد العبيد ان يحضر له شيئا من ملابس الشيخ ليلبسها امام الضيوف. فأسرع العبد واحضر ملابسا جديدة قدمها لعبد الله امام الضيوف. ولكن عبد الله رفض ان يلبسها بل رفض حتى لمسها واعتبرها اهانة له وحطا من قيمته التي لا يعرفها الغير. لكن هذا التصرف أغاظ الشيخ ولكنه كتم غيضه ليظهر نفسه كيسا امام الضيوف فسأل عبد الله عن السبب "أبني ليش ما تبدل ملابسك... علمني شنهو السبب" فاجابه عبد الله قائلا (٥٧):

هلي ما لبسوا خادم سملهم ١
ويجبود العدا بايت سملهم ٢
يكل الناس ارض واهلي سملهم ٣
كواكب وازهروا ليل الدجى

ثم أردف قائلا (٥٨):

هل يهل المحمس ١ والهلا وين ٢
ليجاهم الخاطر ما كالوا هلا وين ٣
انعز الجار وانزيده هلاوين ٤
ابيب العين لو دك الطناب ٥

وأخيرا قال (٥٩):

هل مربط متين الزرد منجر
تجيل ومجلب الدوبات منجر
من جور العمام اهاب وانجر
وانميهم لعازات الجناب

عجب الشيخ من هذا الكلام. فخطر له ان مثل هذا الشعر لا يمكن ان يقوله الا الشاعر عبد الله الفاضل كما انه ينطبق على اهله. حيث كانت لهذا الشيخ معرفة سابقة بأحوال عبد الله الفاضل "الشيخ" كما كان يكن كثيرا من الاعجاب له. فسأله عن سبب قوله هذا الشعر ولما ألح عليه بالسؤال أخبره عبد الله بحقيقته وسرد له قصته. عندها اعتذر الشيخ من عبد الله ومن معاملته السابقة له فغير مقامه واكرمه واخذ يعامله معاملة الأخ لأخيه. لكن مثل هذا الوضع وان كان جيدا لعبد الله الا انه لا يحبذه. لانه لا يريد ان يعرفه احد. ويريد ان يبقى متنكرا في معيشته. وبعد فترة استأذن عبد الله من الشيخ بالسفر بحجة ان الشوق للاهل والعشيرة قد اخذ منه مأخذه لذا فهو ينوي الرجوع الى مضارب الاهل. حيث اذن له الشيخ بالسفر ثم ودعه وسافر. (٦٠)

ولكن عبد الله بدلا من ان يتجه صوب اهله وجه وجهته صوب العراق - شمال العراق - حيث قصد تيمور باشا "تمر باشا الملي" فلما وصل مضاربه دخل ديوانه وجلس مع صاحبه الصلبي امام الباشا واخذ ينشد على الربـاب

من جميل شعره .
قال : (٦١)

هلي رايات والدنيه بظلهم ١
اكرام ويمن الخايف بظلهم ٢
ايتيه الفارس الغيهب ٣ بظلهم ٤
هلي باشات على الشدوا اطناب

وقد اعجب الباشا بهذا الشعر واستحسنه لذا قرب قائله اليه واسكنه في ديوانه لانه كان يريد المزيد من هذا النوع من الشعر وخاصة على صوت الرباب. فقد كان الباشا سماعا للشعر وفاهما له وكانت له دراية بقول الشعر وبأصحابه ولذلك كثيرا ما كان يردد امام مسامع شاعره ان مثل هذا الشعر يمكن ان يكون لعبد الله الفاضل الا ان عبد الله كان ينكر مثل هذا الاسناد .

فلما طال بقاء عبد الله في ديوان الباشا وكان يقوم باعداد القهوة أحبه الباشا لكرم خلقه وطيب شعره الى ان حدثت غزوة من غزوات الباشا المتكررة - يميل الاعتقاد الى انها في حربه مع سلمان بك الشاوي - فركب عبد الله فرسا ونزل الساح مع الفرسان فأبلى بلاء حسنا وكانت نتيجة الغزوة نصرا حاسما للباشا . كان الباشا يراقب قتال عبد الله في الميدان . وان هذه الصولات لا يمكن ان تصدر من رجل

كهوجي او حتى من رجل من الرعاع. وانما هي سطوة رجل ذي باع طويل. ولكن الباشا اسر القول الى ان اختلي بعبد الله يوما وحلفه ان يصدقه القول. فالباشا غير مقتنع ابدا ان يكون هذا الكر في الميدان لرجل من الصليب كما ان تصرفاته في الديوان وان كان يحاول جاهدا اخفاءها الا انها كانت تنم عن رجل عربي له مكانته. وتحت الحاح الباشا اعترف عبد الله بحقيقته وانه فعلا الشيخ عبد الله الفاضل الذي يسمع عنه واخبره قصته كاملة. فاكرمه اكراما جزلا واكرم الصليب الذين كانوا معه ثم رحلهم وأبقاه عنده في ضيافته وبعدها خيره في ان يختار المكان الذي يريد ليعطيه اياه. فأختار العيش في مدينة حماة السورية. فأعطاه مالا يكفي لبناء بيت وزواج وعيش كريم حيث سافر عبد الله الى حماة وسكن بيتا بالقرب من جسر العاصي وتزوج امرأة حضرية - اي من المدينة - وعاش معها الى ان رجع الى اهله (٦٣) . الا انه طيلة حياته مع زوجته الحضرية واسباغها الحياة الحضرية عليه لم ينس العتابا والرباب. فكان يقول الشعر امامها ويذكرها بأن له اهلا وان له أياما قبل مرضه ومن شعره في تلك الفترة (٦٤).

هلي يهل الممس والبريجي ١
يكهوه غيركم مرة بريجي ٢
هلي يالغيمة البيها البريجي ٣
وبيها الخير واجد الجما.

كما قال (٦٥):

هلي شالوا وخلوني بجرية ١
ويدمعي ما بطل هشلة وجرية ٢
بكلبي شبه ناعور بجرية ٣
ايون وعل الولف يلوي ركاب

٥ ـ الرجوع الى الاهــل:

استـقـر عبـد الله في مـديـنـة حماة مع زوجته وبقي معهـا ردحا من الزمن وقد انـجبـت مـنه طفلين او ثلاثة. لكنه مع ذلك كان يحن الى البادية فذهب به الشوق الى ان قـرر يـومـا ان يـزور اهله بـزي متنكر حتى لا يعرفه احد وحتى يعرف آخر أخبـارهم. فتـنـكر بزي صلبي حيث لبس ملابسه التي حصل عليها من زميله الصلبي. فمـثـل هذه الهيئة ـ هيئة الصلبـي ـ ـ ابـو الخلا ـ كـانـت بمثابة جواز مرور الصحراء ليـس هنـاك مـن سائل عنـها ولا تثير استفسار ايا من يراه. فأبـو الخلا طبـيـعتـه التجوال في البادية. فقرر الذهاب الى اهله لأنه على يقين من ان احد مـن اهله لا يـسـتـطـيـع مـعرفته بتغيير معالم صورته اضافة الى ان القناعة كادت تـرسخ في ان عبـد الله تـوفي في صيـرتـه وأكـلتـه الوحـوش. اما اشاعات حياتـه وتـواجده عنـد الشيوخ فقد استبعدوا احتمال تصديقها بعد ان اعياهم البحث عنه.

على ايـة حال سافر عبـد الله الى مـضارب اهله وعشيـرتـه وقصد الديوان الذي تـجتـمـع فيـه العشيـرة حيـث يتصـدره

الشيخ الذي هو اخوه فدخل وسلم وجلس على الارض. ولكن احد لم ينتبه اليه. واثناء جلوسه سمع صوت بكاء نساء. فسأل رجلا عجوزا يجلس بجانبه عن سبب بكاء النساء. فأجابه الرجل العجوز ان ثريا تبكي زوجها عبد الله. فانصت السمع الى صوت الباكيات فلم يسمع صوت زوجته دنيا مع الباكيات فأن أنة طويلة. فسأله العجوز عن سبب هذه الأنة فأجابه قائلا : (٦٦):

كصت بهل المروه بحيل دنياي
جده حظي وخانت بي دنياي
ولحد كال يا مسكين دنياي
وتكلط ع الفراش عن التراب.

ثم قال ايضا (٦٧):.
هلي للشاذري ١ برحي يسحون ٢
وهلي لعظم الضد يسحون ٣
هلي ما داورا الميدات ٤ يسحون ٥
ولا فرعن خنادجهم ٦ من عشى

ثم نهض. وعاد الى مدينة حماة. واستقر عند زوجته حيث اججت فيه هذه الحادثة بواطن الغضب واثارت فيه ما حاولت الايام التالية ان تخفيه.
احد لم يلتفت الى ان هذا الزائر المجهول. الا ان جليسه الرجل العجوز ذكر قومه بما قاله هذا الرجل وعليهم ان

يحللوا شعره ليفهموا قصده. وان فهم من بيت العتابا "كصت بهل المروة بجيل دنياي" فهم منه على ان قائله هو عبد الله الفاضل ولكن الكثير اعترض على تفسير الرجل للبيت بانين اعتراضهم على اساس ان عبد الله توفى وان هذا الرجل هو صلبي يمكن ان يقول كلام غيره. الا ان الرجل العجوز ومعه من آزره اصروا على موقفهم من تفسيرهم المنطقي لابيات العتابا تعزز صحة الاخبار التي تذكر ان عبد الله حي يرزق وخصوصا رسل الشيخ الذي احتجز عبد الله عنده والذي اسلفنا الكلام عنه.

هذه الحادثة اثارت جدلا انتهى بأن يقطع دابره بأن يكرسوا البحث عنه ويتبينوا حقيقته. وبعد جهد وبحث طويل تأكدوا من حياته وعرفوا مكان اقامته ـ مدينة حماة ـ قرب جسر العاصي. لذا اتجهت اليه وفودهم واعتذروا له وحاولوا ارجاعه الى اهله وعشيرته الا انه رفض الرجوع رغم محاولاتهم المتكررة.

ففكرت زوجته ثريا بطريقة او حيلة يمكن بها ارجاعه لمعرفتها كوامن سره وبواطن سريرته. وكانت الخطة ان تمر ضعون ـ الحسنة ـ محملة امامه وكأنهم على رحيل وتمر بالقرب من البيت الذي يسكنه عبد الله. وتكون مظاهير النساء "الهوداج على الابل" في المقدمة وثريا نفسها تتقدم المظاهير. اما الرجال فينقسمون الى قسمين. القسم الاول يسير خلف المظاهير وبعضهم يقودها. اما القسم الثاني فيختبىء في مكان خفي. وامام البيت يهجم الكمين المختفي وكأنهم اناس اعداء يريدون الاستيلاء على السلف وتدور

معركة امام البيت حيث يستولي المهاجمون على مظاهر النساء حيث تكون ثريا تجنب فرس عبد الله التي عليها عدة حربه وتكون نتيجة المعركة ان تؤسر النساء ويؤسر شقيق عبد الله ويعرى من ملابسه. فأن مثل هذا المشهد من المؤكد انه سيثير حميته وسيعتلي فرسه ويمتشق سيفه وينزل ميدان الطعان بدون وعي منه. وعندها يسهل على القوم ان يكبلوه قيدا ويضعونه امام الامر الواقع وان هذا هو موقف قومه النهائي منه وان حكم العشيرة ان يعود الى مكانته الحقيقية فلما نفذوا خطتهم ودارت رحى الحرب الوهمية امامه وعندما رأى ثريا ثارت شجونه فأنشد قائلا (٦٩) :

ثريا تلوح والدنيا مسجبه
مطر وجعود خلاني مسجبه
عجاج الظعن عنبر والمسجبه
اخيرا من الكرايا المعطنات

ولما رأى نساء قومه اسيرات وأخيه مكبلا ثارت ثائرته فتقدم من فرسه واعتلاها وامتشق سيفه وصال على القوم فلما التقى بأول المهاجمين رفعوا له ايديهم معلنين استسلامهم، وعندما تفرس في الوجوه واذا بهم فرسان عشيرته. حيث كشفوا له عن حيلتهم واعترفوا بخطأهم بحقه وطلبوا منه الصفح. فكان كرم النفس ان عفى وسمح ونسى كل ما سلف. ثم رافقهم الى ديرته - البصيرة - من دون ان يخبر زوجته من سفره. حيث سكن نفس الدار

التي كان يسكنها ايام مشيخته الاولى حيث وجد موقد قهوته قد اندثر فراح يحفره من جديد وهو يقول " دم الزعل ياكلب دم... دم الزعل ياكلب دم" واثناء الحفر وجد جذر شجرة شوك يابس: فقال:

متى يا عود يصير بك ورد وزهو
تانسى القديم... "

ثم ترك الموقد وقفل راجعا الى بيته الا ان قومه لحقوا به واعادوه ليرجع رئيسا لقبيلته كالسابق وعليه ان ينسى كل ما سلف.

٦ـ الاستقرار في حماة:

بقي عبد الله مع عشيرته مدة تزيد على السنة وكان عليه ان يتكيف مرة ثانية لحياة الصحراء القاسية بعد ان كاد ينساها في نعومة اجواءالمدينة وسهولتها. وفي احدى ليالي الشتاء الباردة حيث كان الجو ممطرا وكان عبد الله نائما في ركن من بيت الشعر والذي يدعى "الربعة" حيث يكون شبه مكشوف تضربه الرياح يمنة ويسرة ويدخله رذاذ المطر شعر بالبرد يقرصه فتذكر ذلك الدفء في بيته في المدينة الى جانب زوجته الحضرية فقرر العودة الى زوجته وبيته وقبل ان السير الى ان وصل بيته. وعندما طرق الباب سألته زوجته

من الطارق. فأجابها بأنه عبد الله قد عاد ويريد السكن معها الى الابد. الا ان زوجته أجابته من خلف الباب وقالت له:

"روح عالعنبر والمسج" لانها سمعته حين قال بيت العتابا مادحا ثريا. ولكنه لم يرجع بل بقي امام الباب طالبا منها ان تفتحه حيث ابت غيظا ان تفتح الباب. فلما اعياه عنادها قال فيها هذا البيت (٧١):

فهد ١ عضعض دليلي وشبياني ٢
عجب لاشيت غيري ٣ وشبياني ٤
ترف اشهانول وصلك وشيباني ٥
درج ما لك وغلكت الابواب

فلما سمعت منه هذا البيت مدت يدها وفتحت الباب واطلت برأسها اليه فلاح له خدها مما أثار فيه ان يقول(٧٢):

يخده وردة البطان ١ واللف ٢
او كلبي من هوى الزينات ٣ واللف ٤
فكدتج ٥ حين طاب النوم واللف ٦
بليل خرصت ٧ بيه هرمى الذياب

ثم دخل البيت وعاش حياة هادئة. ومنذ سكنه هذا لم يسمع عنه شيئا تقريبا.

* الفصـــل الثالـث

١ـ مقدمة في العتابا:

العتـابـا مـن الادب الشعبـي المـعبـر عن خلجات نـفوس قـائليـهـا وسـامـعيها وأحاسيـسهـم وتـعتبر منطقة جزيـرة الموصـل وغرب الفـرات الموطـن الجغـرافي للعتـابـا والارضيـة الاكثر خصبا لها .

وقـائل العتـابـا عنـدمـا يرددها على الربـاب قد يكون هـو ناظمها او انها قد تـكـون ابـيـاتـا مـتـداولة لشاعر شعبـي مـعروف. ومن الشعـراء المعروفين بنظم العتـابـا. عبـد الله الفاضل. وفطيم البشر وحمد عفرة.

والعتـابـا بـالاضافـة الى كـونها حسا وجدانيا فـأنها مـادة تسجيلية او تـوثيقية. فلكـل بيت قصة كاملة. حيث يـدون الشـاعر تـاريخا لحادثة قد اثرت عليه ومع تـسجيل تـأثره بهـا وعتبه على فاعليها او على الايام التي حدثت فيها .

فـنجـد الشـاعر عبـد الله الفـاضل يعبر من خلال عتـابـه عـن قصته المعروفة. وفطيم البـشر ترثي ولديها الموتى. وكذلك حمد خرابه كـان يندب حظه العـاثر بفقد زوجته "فنجو" الـتي اخذت منه قسرا وزوجت لرجل ثان.

٢ـ معنى العتابا:
أ ـ المعنى اللغوي:

كلمة عتابا لغة مشتقة من تصريف الفعل عتب يعتب. ولهذا الفعل عدة معان: "عتب عتبا وعتبانا ومعتبا ومعتبة ومعتبة" وتعني انكر عليه شيئا من فعله.

و "عاتبه عتابا ومعاتبة" أي لامه. واصفة المواجدة واعتبه اي ازال عتبه وترك ما كان يغضب عليه وارضاه.

تعتبت القوم: اي تواصفوا المواجدة، يقال "فلان لا يتعتب بشيء ولا يتعتب عليه في شيء اي لا يعاب(٧٣)".

واستعتبته طلبت اليه ان يعتب. واعتب اي قبل العتب. اي عذلته فأعتذل اي رجع وارعوى(٧٤).

والعتبة تعني عتبة الباب وهي اسكفة الباب التي توطأ وكذلك العتبة العليا.

والعتب تعني الدرج وعتب الدرج مراقيها اذا كانت من الخشب وكل مرقاة منها عتبة.

والعتبة تعني الشدة والامر الكريه. ويقال ليس في هذا الامر من رتب ولا عتب، والعتب تعني العيب كما في قول علقمة: "لا في سطاها ولا في ارساغها عتب".

والعتب يعني الغضب الذي يحصل من صديق، والعتب تعني السخط كما في قول الغطمش الضبي:

أقول وقد فاضت لعيني عبرة

ارى الدهر يبقى والاخلاء تذهب
اخلائي لو غير الحمام اصابكم
عتبت ولكن ما على الدهر معتب

والمعاتبة تعني الملامة كما في قول الغطمش ايضا :

اعاتب ذا المودة من صديق
اذا مارابني منه اجتناب
اذا ذهب العتاب فليس من ود
ويبقى الود ما بقي العتاب(٧٥)

ب ـ المعنى الاصطلاحي:

العتابا نوع من انواع الغناء العراقي. وتغنى نغمات العتابا مع احد انواع الشعر الشعبي الرباعي من بحر الوافر(٧٦).

والعتابا تشبه الابوذية التي تنظم على بحر الوافر أيضا غير ان قافية الشطر الرابع تنتهي بباء مخففة أو الف مقصورة.(٧٧)

ووجه الشبه بين الابوذية والعتابا هو الوزن والتركيب وكذلك تشابه النهايات احيانا اذ ان الابوذية تنتهي بحرفي الياء والهاء والعتابا تنتهي كذلك بالياء(٧٨)

تنتشر العتابا في المنطقة العربية من شمال العراق كما تنتشر الابوذية في وسط وجنوب العراق(٧٩).

والعتابا تتخطى الحدود القطرية وتكاد تصبغ بصبغة قومية

حيث يمكن ان تسمع في سوريا ولبنان وفلسطين. فالاغاني الفلسطينية تمتاز بالعتابا والميجانا وهما متشابهان من ناحيتي التركيب والنظم كتشابه الابوذية والعتابا العراقية الا الفرق هو ان الابوذية تغنى على حدة والعتابا تغنى على حدة ثانية ولكل منهما مغن مستقل. اما العتابا والميجانا فيغنيها المغني الفلسطيني سوية حيث تكون الميجانا مدخلا او مقدمة للدخول الى العتابا كما في المثالين التاليين.

فعندما تكون وطنية يبدأ المغني بميجانا وطنية ايضا:

ميجانا: يا شجرة بالواد حاميكي اسد
اتكسرت اغصانك من كثر الحسد
زرعنا الزرع وغيرنا حصد
غير التعب يا حسرتي مانابينا
يا ميجانا... ويا ميجانا...

والعتابا: يمدانا لا تقولوا احنا انهفينا
انهفى البولاد واحنا ما هفينا
انتو الزرع واحنا المنجلينا
نحصدكو على طول المدى

اما اذا اراد المغنى ان يقول عتابا غزلية فتكون الميجانا غزلية ايضا:

الميجانا: يا رايحة نحو الحبايب سلمي

ع كحيل العين بالله تسلمي
خذي من الضلعين درجة سلمي
وخذي من الزندين عامود الهوى
يا ميجانا . . . ويا ميجانا . . .

العتابا : تمشي البنية بخطوات سهومات
غمزة عينها ترمي سهومات
يا كل رجل شافها سهى ومات
فكيف اللي كشف طرف الثياب

٣ـ التسمية:

اختلفت الآراء حول سبب تسمية هذا النوع من الغناء باسم العتابا . وقد قيلت عدة اراء مستندة الى عدد من الروايات التي ترجع سبب التسمية الى اسباب معينة . وقد حاولنا هنا ان نورد الروايات التي وقفنا عليها .

الرواية الاولى :

سميت العتابا نسبة الى "عتيبة بنت جبر الحسين" وهي امرأة تنتسب الى عشائر الجبور من فخذ البوجبر ، يقال انها أول من نظمت هذا النوع من الشعر . حيث كان لبواعث الحزن الاثر الدافع لنظمها لهذا النوع من الشعر . لانها فقدت اولادها الثلاثة نتيجة اصابتهم بمرض

الجدري. وقد ضاع كثير من شعرها ولم يصلنا منه الا القليل. ومما قالت:

ماظن العالم الراصخ كصاصيب
الدليل ودمع العين ع الوجنة كصاصيب
بجيدي بنو كنارة وكصاصيب
وسجاجين اهاويهن اصعاب

ومن قولها ايضا:
ماظن الفارك احبابه كطاطيب
وجرحي ما يخيطونه كطاطيب
ابد ما سلا الولف لو يسلا كطاطيب
المنام ويترك الذيب العوا (٧٩)

الرواية الثانية:

وهذه الرواية تسند التسمية الى العتاب. والقصة التي تروى كدلالة على سبب التسمية هي ما يلي:
جماعة من السفهاء قد نقموا على شخص لكونه افضل منهم جاها واكثر كرما وذاع صيته. فدبروا له مكيدة. حيث شهدوا ضده زورا حيث قتل نتيجة شهادتهم. وبعد عدة سنوات رآه احد افرد عشيرته اثناء نومه حيث جاءه وقال له هذا البيت:

كصدت بصاحبي ما طلع على الظن
ومجاري اثنين بالدلال عظن
آني المجتول يا جاويد عالظن
ابظليمة والشهود اعله كفا

وعندما استيقظ من نومه تذكر ان هذا الرجل قد قتل قبل عدة سنوات فأخبر قومه بما رأى حيث اطلقوا عليه اسم "العتابا" (٨٠).

الرواية الثالثة:

الراوي هنا يسند سبب تسمية العتابا الى العتاب ايضا ويذكر ان الرائد الاول لقول العتابا هو الشيخ عبد الله الفاضل العنزي وقد قال العتابا أثناء مرضه عتابا على أهله وذويه. ويقول الراوي ان العتابا بظهورها قضت على لحن قديم كان شائعا في الريف والمدينة ويسمى "بربانه". أو ان العتابا عن لحن الربانة والذي طورها الشيخ عبد الله. وان اول بيت قاله في العتابا هو:

ليلى مخفية الوجه بس العين
وسر مالج مع الجازي بس العين
آني المطعن من هوى ليلى بس العين
ولا لكهان وصفلي دوى

الرواية الرابعة:

والرواية هنا تسند اصل التسمية الى رجل يدعى "عتابة" نظم شعر على هذه الشاكلة سمي بأسمه. ولهذا الرجل قصة ملخصها.

ان رجلا من البادية يدعى عتابا كانت مهنته الصيد وكان له ولد صغير وحيد اسمه "الحبيب" يصطحبه معه الى الصيد ويدربه على فنونه فكان يلبسه من جلود الغزلان فوق ملابسه للتمويه كي يتمكن ان يتغلغل بين قطعان الغزلان دون ان يثير ريبتها فيدفعها باتجاه والده.

وبينما كان الحبيب بين الغزلان يمشي مثلها لم يتمكن الاب من تمييزه عن بقية الغزلان فكان على الاب ان يختار احداها ليصوب باتجاه بندقيته "بندقية شيش خانة - تركية" فأختار القدر له أبنه فرماه ظنا منه انه الصيد المطلوب. ولما وصله واذا به الحبيب مضرجا بدماءه. فحمله في عباءته وجاء به الى البيت. وقال لزوجته ام الحبيب. اجثي لنا في البيوت عن قدر لم يطبخ فيه اكل عزاء. فذهبت ولما لم تجد وعادت خائبة. وقالت لم يبق قدر الا وطبخ به عزاء. فقال لها. واليوم عزاءنا وحيدنا لهذا اليوم هو الحبيب.

وقد نظم فيه شعرا لم يطرقه احد من قبله فأطلق على رثائه شعر عتابة. ولا زال كثير من الشعراء يرددون في نهاية بيت العتابا عبارة - ياالحبيب يياب(٨٢).

الرواية الخامسة:

تفيد هذه الرواية ان سبب التسمية جاء من العتب على النفس ويرجعها الى قصة وقعت بالشكل التالي:

ان رجلا تزوج من امرأة عمانية بعد ان توفت زوجته الاولى وتركت له ولدا اسمه - الحبيب - ولكن هذه الزوجة كانت تكره الولد ولا تطيق بقاءه في البيت. لانها تريد ان تختلي بصاحبها في البيت بعد غياب زوجها. فكانت تحرض الوالد على الولد وتغل صدره عليه. ففكرت بحيلة تتخلص بها من الولد. حيث اخبرت زوجها بأن أبنه يراودها عن نفسها. الا ان الاب رفض تصديق هذه الحكاية. فما زالت الزوجة تكرر عليه القول الى ان اقتنع بها يسمع فقرر ان يتخلص من ولده حيث أخذه الى قبو ليذبحه ويرميه فيه فأثخن جراحه بسيفه ورماه في القبو. ورجع الى زوجته ليخبرها بأنه ذبح ولده العاق الذي حاول ان يشوه سمعتها. ولكنه عند رجوعه أكتشف علاقة زوجته المشينة بشخص ثان وان سبب أتهامها ولده لتتخلص منه ويخلو لها الجو مع خليلها فأستل سيفه وقتلها واسرع الى ولده لعله لازال على قيد الحياة. ولكن لما وصله وجده كان قد فارق روحه. فندم على قتل ولده مظلوما ولكن انى ينفع الندم. فبقي يتردد على ذلك القبو ويجلس على جانبه ويناجي ابنه - الحبيب - بشعر لم ينسج على منواله سابقا فسمي هذا النوع من الشعر الجديد بالعتابا.

الرواية السادسة:

تفيد هذه الرواية ان سبب تسمية هذا النوع من الغناء بالعتابا نسبة الى امرأة اسمها "عتابا" حيث كان لها علاقة حب عذري مع رجل. ولكن الاقدار شاءت ان لا يستمر هذا الحب. وان تتزوج رجلا آخر. حيث افترقا. وبقيت ذكراها في اعماق هذا الرجل الذي قال فيها شعرا من نوع معين جديد اسماه شعر عتابا.

وهناك رواية اخرى تذكر العكس حيث ان اسم الرجل عتابا فلما افترقا كانت المرأة تقول الشعر فيه. وكان شعرا غير مألوف. فكان الناس يسألونها عن هذا الشعر او الغناء فتقول لهم "هذا كله عتابا" وتقصد به عتابا حبيبها. ولذا سارت التسمية على هذا الشكل على الغناء بالعتابا.

الرواية السابعة:

ان رجلا كان يسكن على شاطىء البحر في لبنان ويعتاش على صيد الاسماك. وكانت زوجته اسمها عتابة وكان يحبها الى درجة كبيرة. وفي ذات يوم اختطفها احد ملاحي البوابير(٨٧) وهرب بها. فحزن عليها وراح يرثيها بنوع جديد من الشعر سمي بأسمها - عتابه. الى ان اصبحت مثلا يحتذى وضربا من ضروب الشعر على الناي يقال في الحزن على فراق الخل والحبيب(٨٨).

الرواية الثامنة:

وهنا لا توجد قصة وانما اتفاق الباحثان العلاق والخاقاني على ان العتابا كلمة مشتقة من العتاب(٨٩).

الرواية التاسعة

تفيد ان سبب التسمية هو نسبة الى قوم معينين قالوا هذا النوع من الشعر او كثر عندهم وهم - العتاب -(٩٠). او ان سبب التسمية يرجع الى قوم "العتيبة"(٩١).

٤ - الموطن :

لكل نوع من انواع الشعر الشعبي. او العامي. او ما يطلق عليه احيانا بالشعر الجماهيري موطن معين يشتهر فيه او ان هذا الشعر يكون اكثر انتشارا في هذه المنطقة من غيرها. والغناء بألوانه يعتبر شعرا فمثلا الابوذية عرفت اولا في منطقة الحي ومنها انتشرت الى المناطق الاخرى. كما يمكن اعتبار الميمر والهوسة من مبتكرات الفرات الاوسط. وولادة الموال في الحويزة وينسب الى السادة الموالي.

اما العتابا فيمكن القول ان منطقة الموصل هي المنبت الاول لها ولازالت تقال بصورة رئيسة في المناطق المحيطة بمدينة الموصل(٩٢).

ويشير الاستاذ علي الخاقاني الى ان العتابا نشأت في الموصل واطرافها وغنى بها شعراء اودعوا فيها معان سامية وشاركهم في ذلك اعلام من الفرات الاوسط قالوا فيها المليح

والمستحسن(٩٣).
غيرها(٩٤).

اما الدكتور عارف ثامر فقد ذهب بالقول بأن العتابا فلكلور سوري عراقي برزت في اداءه قبائل بدوية رحل عاشت في الصحراء السورية العراقية. واكثر القبائل ابداعا في العتابا وعمقا هي قبيلة الجبور التي كانت تسكن الحدود السورية العراقية. حتى ان شعراء العتابا من الجبور امتازوا بالقاءها ارتجالا مع كونهم اميين لا يجيدون القراءة والكتابة ويأتي بعدهم جماعة الفضول الذين انجبوا شعراء مشهورين في هذا الباب(٩٥).

ويؤيده في هذا المنحنى باحثا آخر حين يقول ان هذا النوع من الغناء منتشر في بادية الشام والسماوة وكذلك في المناطق البدوية في بعض الاقطار العربية الاخرى لان هذا الشعر في الاصل مقارب للغة الضاد في البادية. (٩٦)

وبالاضافة الى ما ورد اعلاه فنحن نتفق مع الخاقاني على ان العتابا من مبتكرات عشيرة الجبور واشهر الناظمين بها رجلان هما حمادي الجاسم الجبوري ويليه عبد الله الفاضل العنزي(٩٧).

اما رواة العتابا والمحافظين عليها وعلى اصولها وطريقة ادائها فهم عشيرة الجبور الذين يعتبرون حجة في هذا الموضوع. فيذهب البعض الى ان الشيخ عبد الله الفاضل هو اول رواد العتابا وتأتي بعده فطيم البشر من عشيرة الجبور حيث لم يسبقها احد(٩٨).

بينما يذهب رأي ثان الى ان اول من قال العتابا

"السيدة عتيبة بنت جبر الحسين" من عشيرة الجبور، وكان ذلك بعد ان توفي اولادها الثلاثة بمرض الجدري(٩٩).

كما ذهب رأي ثالث ان العتابا من خلق الجبور ولكن ليس في العراق وانما في سورية. حيث ان عشائر الجبور حديثي العهد في العراق وقد نزحوا من الخابور في سوريا قبل ما ينيف على القرن ولما نزحوا كانت العتابا معهم. اي ان العتابا من اصل سوري(١٠٠).

اما الباحث الدرة ينفرد برأي جديد وهو اشتراك قبيلة شمر الى جانب عشيرة عنزة في ابتكار فن العتابا. ولكن هذا الرأي لم يدعم بأي سند أو دليل(١٠١).

وهناك رواية طريفة اوردها الاستاذ شعوبي ابراهيم تؤيد كون العتابا من ابتكار الشيخ عبد الله الفاضل وفيما يلي نصوص من هذه الرواية "اما مبدعها فهو شيخ لقبيلة من اسرة جليلة، له مكانته العليا واسم زوجته دنيا، وكان يرفل في نيل المنى وذيل الغنى شرب من العمر سائغه ولبس من الدهر سابغه. كان يقصده الخلان ويزدان به الديوان، وقد اعتراه مرض فأضناه، اما اسمه فهو عبد الله (عبد الله الفاضل شيخ من شيوخ عنزة اشتهر في نظم العتابات) اصيب بالجدري اللعين فأطفأ منه نور الجبين. فسلم اموره الى الفرد الصمد. الواحد الاحد. ولما دب في جسمه الداء وصعب الدواء واصبح في نحول توجه اهله الى مكحول (جبل في شمال العراق) وترك من قبل ذويه، بيت يأويه وكلب يحميه. فنظر الى شير وخاطبه بقلب كبير:

هلك شالوا على مكحول يا شير
وذبولك من عظام الحيل يا شير
لو تبجي بكل الدمع يا شير
هلك شالوا على حمص وحما. "

لكن الاستاذ شعوبي لا يعتقد بصحة هذه الرواية ويقول ان للعتابا تاريخ قديم جاءت الينا من الاعراب وهي مشتقة من العتاب كما اشتقت الابوذية من الأذية(١٠٢).

٥ـ الوزن:

تخضع العتابا لوزن خاص تفرضه الاذن الموسيقية التي تآلف وتستسيغ الغناء. ويظهر الخلل واضحا في البيت او المقطع الذي ينقص منه حرف او حركة او حتى اذا اخطأ القارىء او المغني بطريقة لفظ ذلك البيت(١٠٣).

وان موسيقى هذا اللون من الغناء تنتهي الى بحر وافر وفي بعض الاحيان الى الهزج حيث لا اختلاف في التفعيلات. فتفعيلة بحر الوافر "مفاعلتن". وعندما يصبح الخامس المتحرك ساكنا يتحول الى الهزج فتكون مجزوءة:

مفاعلتن مفاعلتن مفاعي
مفاعلتن مفاعلتن مفاعي(١٠٤)

ويشير الاستاذ شعوسي ابراهيم الى البحر الوافر فيقول: (١٠٥)

مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن

ولكن استعمل هذا البحر مجزوءا في اغلب الاحيان وله عروضان وثلاثة اضرب.

مفاعلتن مفاعلتن فعولن مفاعلتن مفاعلتن فعولن

وقد يأتي بعض الاحيان معصوبا اي يسكن خامسه المتحرك:

مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن.

٦ـ قاعدة النظم:

ان البديع اللفظي يشكل ناحية مهمة في تركيب العتابا. بدليل ان آخر كل مقطع من المقاطع الثلاثة للبيت ينتهي بكلمة تتفق باللفظ وتختلف بالمعنى(١٠٦). اما القافية الاخيرة فتنتهي باحد الحروف التالية فكل حرف منها يسمى نوع او باب من ابواب النظم وقد اسميناه قاعدة.
تتفق جميع قواعد النظم بما يلي "ينظم في اربعة اشطر

ثلاثة منها تنتهي بالجناس والغالب في الطباق والاخير ينتهي بأحد الحروف التالية: ... "

القاعدة الاولى

ان ينتهي البيت الرابع بالالف المقصورة. كما في النموذج التالي للشاعر عبد الله الفاضل:

هلي ما لبسوا خادم سملهم
ويكلوب العدا بايت سملهم
يكل الناس ارض واهلي سملهم
كواكب وازهروا ليل الدجى

القاعدة الثانية

ان ينتهي البيت الرابع بالالف والباء. وهذا اكثر الانواع شيوعا في العتابا، وهذا نموذج للشاعر عبد الله الفاضل ايضا:

هلي ساروا وخلوني بجريه
ويدمعي ما بطل هشله وجريه
يكلبي شبه ناعور الجرية
يحن وعالولف يلوي الركاب

القاعدة الثالثة:

ان يـنتهي الشطر الرابع بالالف الممدودة. وهذا النوع شائع الى جانب القاعدة السابقة. وهذا نموذج للشاعر عبد الله الفاضل كذلك.

هلي يهل المحمس والبريجي
ويكهوة غيركم حنظل بريجي
هلي يا غيمة البيها بريجي
وبيها الروض وفطر الجما

القاعدة الرابعـــة:

ان يـنـتـهي آخر الشطر الرابـع بالتاء. واليك مثلا من شعر عبد الله الفاضل:

ثريا تلوح والدنيا مسجبة
مطر وجعود خلاني مسجبة
عجاج الظعن عنبر والمسجبة
اخير من الكرايا المعطنات(١٠٧).

القاعدة الخامسة:

ان ينتهي آخر البيت الرابع بحرف الجيم كما في المثال التالي:

اطلبنا مسرعين الجلم وانهام
او نسمع للحوادي حسن وانهام
جينه انواجه الخلان وانهام
امحثين الركاب ع السراج(١٠٨).

٧ـ الربابة:

لقد اطلق العرب لفظة "رباب" على عدة انواع من الالات الوترية ذات القوس شأنهم في ذلك شأن الفرس الذي اطلقوا لفظة "كمنجة" على آلاتهم الوترية ذات الاقواس.

وقد ذكر الخليل بن احمد المتوفي "٧٩١م، ١٧٥هـ" ان العرب كانوا يغنون اشعارهم على صوت الرباب(١٠٩).

وتنوعت اشكال الرباب وتعددت اسماؤها بتعدد الاماكن المنتشرة فيها. فعرف منها في مصر والمشرق العربي - رباب الشاعر. وهي التي نسميها "الربابة" وصندوقها الصوتي مستطيل ذو جانبين مقوسين الى الداخل واحيانا يكون صندوقها على شكل مربع (١١٠). ثم ان ربابة الشاعر هي نفسها ربابة البدوي العربية محدودة الاستعمال. وبعد لم تؤيد لنا المشاهد الموثقة من الآثار الاسلامية عن الرباب لانها لم تكن من آلات القصر والبلاط بل مكانها الازلي الكوخ وبيت الشعر والصحراء كما كانت ولم تزل الى الان(١١١).

كما انتشر استعمالها في البلاد العربية الاخرى كالجزائر وتونس ومراكش. حتى ذهب احد الرواة الى ان الربابة نشأت في الجزائر(١١٢). ولكن هذا الرأي مغاير لرأي الباحث الاول الذي يذهب الى ان الربابة من الآلات التي عرفت اولا في مصر والشرق(١١٣).

واشهر عازف على الربابة هو "محمود بن عبد الله الواسطي الربابي" وكان موسيقي بغداد الاول سنة "٦٣٨ هـ". والى اليوم بقيت الربابة محافظة على شكلها وطريقة العزف عليها. فيشغلها وتر واحد من شعر الخيل. والعازف يضعها على فخذه اليسرى اثناء الجلوس ويقبض عليها بيده اليسرى واصابع يده تلامس الوتر. بينما تتفرغ يده اليمنى لمسك القوس الذي يشده وتر من نفس الشعر فيعزف بها انغاما يتحكم بها العازف.

والربابة ملازمة للعتابة ومن متمماتها. حيث استعملها شعراء العتابا كأداة ممهدة ومرافقة للحن(١١٤). ويمتاز لحن الرباب بمسحة حزن فأنغامها شجية(١١٥).

وقبل اكثر من نصف قرن وجد اناس يغنون العتابا على الرباب في المقاهي واشتهر منهم "محمد العلكاوي"(١١٦) وحسين كردي(١١٧) حيث اشتهر الاخير برخامة صوته وقوة حافظته(١١٨). كما يجيد العزف على الربابة الغجر ايضا(١١٩)

وظهر فيما بعد رجل امتاز بغناء العتابا هو "سعيد عكار" الذي بز سابقيه بحسن الصوت واجاد العزف على الربابة (١٢٠).

ولم تكن الربابة وقفا على العرب انما انتشرت في كثير من القبائل. حيث تعلمها شرذمة من الاعراب المتجولة والذين يطلقون عليهم "الكاولية" (١٢١) الذين كانوا يعتاشون من وراء عملهم بتبييض الاواني وبالاستجداء حيث كان قسم منهم يسأل الناس وبطريقة مهذبة وهي الرقص والغناء في خيام العرب مقابل اكرامهم. حتى غلبت هذه الصنعة على بقية صناعاتهم. فكان الكاولية يغنون ويعزفون على الرباب اينما حلوا حتى اصبح الباب الرئيسي لمصدر رزقهم ومعيشتهم. اذ كانوا يقصدون بيت الشيخ في القبيلة يقولون فيه الشعر من العتابا مدحا ليكرمهم (١٢٢). ثم يدور الكاولي على بقية البيوت فتكرمه ربة البيت بعد ان سمعها بيتا او اكثر من العتابا على صوت الربابة. ومما يجدر به القول ان للكاولية الفضل في الحفاظ على هذا الشعر وغناءه على الربابة بما يمتلكون من موهبة في الغناء من الشجاعة الادبية في الالقاء امام اي من الجموع كثرت ام قلت. حيث احترفوا هذه الصنعة واتخذوها حرفة عملية للتعيش منها. فكان كل بيت تقريبا من بيوت الكاولية ما.رسة موسيقية يتعلم فيها الكبار والصغار قول الشعر وحفظ العتابا والنايل والعزف على الرباب والضرب على الطبل. فكانوا يكثرون في المناسبات والاعياد يدورون الاحياء يمارسون صنيعهم وفنهم (١٢٣).

* الهوامش والتعليقات

(١) علي الخاقاني ـ فنون الادب الشعبي، ج٣، ص٩.
عبد الكريم العلاف ـ الطرب عند العرب، ص ٢٢٥.

(٢) خضر جمعة حسن، عبد الله الفاضل العنزي، مجلة التراث الشعبي، العدد ٤، السنة ٩، ١٩٧٨، ص ١٦٥.

(٣) طلال سالم الحديثي، صور من حياتنا الشعبية، مطبعة أسعد، بغداد، ١٩٦٨، ص ٥٩.

(٤) قبيلة عنزة وهي من اكبر القبائل العربية الحاضرة وتنتسب هذه القبيلة الى عنزة بن اسد بين ربيعة بن نزار بن معد، وتمتد منازلها من نجد الى الحجاز فوادى سرحان فالحماد فبادية الشام حتى حمص وحماه وحلب.

وتنقسم الى ثلاثة بطون كبيرة: مسلم، وائل، عبيد. ومواقعهم الجغرافية كما يلي:

أـ عنزة العراق. الدهاشة والجبل.
ب ـ عنزة الفرات والجزيرة ـ الفدعان "الولد والخرصة".
جـ- عنزة حماة ـ الاسبعة "البطنيات والاعبدة"
دـ عنزة حمص ـ الحسنة.
هـ- عنزة دمشق ـ حوران، الرولة، الولد علي، المحلف.
وـ عنزة الحجازية ـ الابدة والفقرا .

أنظر :عمر رضا كحالة، معجم قبائل العرب القديمة

والحديثة، ج٢، مطبعة الهاشمية، دمشق، ١٩٤٩، ص ٨٤٦-٨٤٧.

ويذكر الاستاذ شفيق الكمالي في كتابه الشعر عند البدو، ان المنابهة وهم فرع من محلف ثلاثة فروع - المنابهة، ولد علي، الايايدة، والحسنة فرع من المنابهة وكانت منازلهم (منازل الحسنة) بين تدمر وحمص، وينتسب الى الحسنة (المصاليخ) ومنازلهم دوما الجندل ومن المصاليخ عائلة آل سعود الحاكمة في المملكة العربية السعودية. انظر: شفيق الكمالي، الشعر عند البدو، مطبعة الارشاد، بغداد، ص ٢٦-٢٨.

(٥) انظر خارطة سوريا، الاطلس العراقي، للمؤلف محمد احمد المهنا، ط ٩، ١٩٧٥، ص ٢٦.

(٦) يفيد الراوي، وهو شيخ كبير انه في شبابه كان يعمل في سياقة القوافل التجارية من الموصل وحلب والشام. وذكر انهم كانوا ينزلون للاستراحة في بيت قديم ذي فناء "حوش" كبير وفيه آبار للماء يسقون منها ابلهم. حيث كانوا ينصبون خيامهم داخل الفناء وكان اهل المنطقة يطلقون على هذا البيت قصر الشيخ عبد الله الفاضل العنزي.

وافاد الراوي انه اراد التأكد من صحة نسب البيت. فاستفسر من رجال الجندرمة في ذلك الوقت. فايدوا انه بيت او قصر الشيخ عبد الله الفاضل العنزي شيخ الحسنة وهو يقع حاليا في قرية اسريا في مدينة سلمية.

اسم الرواية ـ السيد محمد طيب يحيى آغا ـ العمر ٧٠ سنة، المهنة: عاجز، العنوان محافظة نينوى، مدينة الموصل، محلة باب البيض، تاريخ التسجيل ١/ ١٠/ ١٩٧٧

وقد افادني بما ذكرته من معلومات عن الموضوع الصديق عبد الله امين آغا. قريب الموما اليه.

(٧) البصيرة قرية عربية واقعة عند التقاء نهر الخابور بالفرات وتسمى في بعض المصادر باسم "بسيسيري" او "بسيسيرة" او "سرسيسيوم" التي ذكرها ياقوت الحموي في معجمه بأسم "قرقيسيا"

وانظر: طه باقر وفؤاد سفر، المرشد الى موطن الاثار والحضارة، الرحلة الثالثة، بغداد/ الموصل. اصدار مديرية الفنون والثقافة الشعبية، بغداد، ١٩٦٦، ص ٦٥ ولهذه القرية قدسية معينة من جانب المسلمين حيث فيها ضريح الشيخ عيسى ـ شيخ احدى طرائق الدراويش، المنتشرة في سوريا والعراق.

(٨) اسم الرواية محمد محمود حسين، العمر ٥٢ سنة، المهنة حارس ليلي في اعدادية المستقبل بالموصل. العنوان محافظة نينوى، مدينة الموصل، محلة نينوى الشرقية. تأريخ التسجيل ٢٣/ ١/ ١٩٧٧.

ويروي هذا البيت بشكل او اخر مشابه للاول في المعنى لكن هناك اختلاف في النص

"هلي يهل المحمس والبصيرة

عليكم تاه راي البصيرة

هلي خلوا مجدورهم بصيرة

وعلى عيني يحاتفني العكاب "

١- أبـصـيـرة: الصيرة عبارة عن سياج دائري من الحطب يعمل حول بيت الشعر في ايام الشتاء. وهو بمثابة فناء عن زمهرير البرد ويسمى ايضا "ذروة".

٢- البـصـيـرة: وتـسـمـة أيضا "البصير" وهو البصر في الدماغ، "العشق بذاته"

٣- البصيرة: القرية او المنطقة التي يسكنها الشاعر.

المـعـنـى: ان اهلي وعشيـرتي رحلوا وتركوني وحيدا في الديار وحولي صيرة من الحطب وبـذلك فقـدت عقـلي لهذا التـصرف. فبعد ان كـنـت إنا حاكمهم في منطقة البـصـيـرة اصبحت اخاف على عيني من الغربان حتى لا تأكلها وانا حي، وهي كناية عن عجزي وضعف مقاومتي.

وقـصـة هذا البيت انه لما بقي وحده ومعه كلبه "شير" وكانت لحوم الذبيحة او الذبـائح المـتـروكـة له مـكدسة بجانبه فان هذه اللحوم تعفنت لذا راحت تجتمع حولها الطيور أكـلـة اللحوم المـيـتة. فاضافة الى رائحة هذه اللحوم المتعفنة فالرائحة المـنـبـعثة من جسده كانت تشبه رائحة اللحم المتعفن لذا فان الطيور ومـنـهـا الغراب كـانـت تـجـتـمع على عبد الله لتأكل عينيه الا ان شير يطرد هذه الغربان.

(٩) حضرة الفاضل: تـقـع قـرب ناحية القيارة التابعة لقضاء الشرقاط في محافظة نينوى

(١٠) الرواة كثر ولكن منهم السيد امين عبد الله آغا، العمر ٦٠ سنة، المهنة: مقاول، العنوان / موصل باب البيض، تاريخ التسجيل ١٩٧٧/٩/٣.
حيث ذكر في بداية الخمسينات كان يعمل مع مهندس فسأل من أهل المنطقة فأكدوا له ان هذه المنطقة كانت مرباع "سكن في الربيع" عرب الشيخ عبد الله الفاضل ولهذا سميت بهذا الاسم. وتسمى أيضا "مرباع الفاضل".

(١١) لقد ورد هذا البيت بعدة روايات، منها مكتوبة ومثبتة في نشرات وكتب ومنها قيلت شفاها وقد ورد في هذه الروايات الكثير من الخلاف منها ما يتعلق بالنص ومنها في التفسير. ولابد لنا من تثبيت ما وصلنا من هذه الروايات والاشارة الى المصدر أو الراوي.

الرواية الأولى:

هلك شالوا على مكحول ياشير
وخلولك من عظام الحيل يا شير
يلو تبجي بكل الدمع ياشير
هلك شالوا على حمص وحماة
اسم الراوية: محمد فيصل حمش، العمر ٥٠ سنة، المهنة: معقب طابو، العنوان: موصل، محلة النبي يونس.

الرواية الثانية:

تختلف عن الرواية الأولى بنص الشطر الأول فقط، وهي:

هلك شالوا علامك حول ياشير
وخلولك من عظام الحيل ياشير
يلوتبجي بكل الدمع ياشير
هلك شالوا على حمص وحماة

والمعنى: ان أهلك رحلوا، فعلامك "ماذا جرى لك تدير النظر"، أي يريد أن يقول له الحق بهم مادمت صحيح الجسد ولست مريضا، فلا تحتار في الأمر. وقصة هذا البيت أن عبد الله لما بقي في الدار ومعه كلبه شير. تفقد شير الأهل وتغير عليه الموقف فأخذ يعوي ويدير نظره حوله يمنة ويسرة. فخاطبه عبد الله بهذا البيت "علامك حول.." ومما يعزز هذا الرأي وتغليبه على وجهات النظر الأخرى النظر في معنى كل كلمة كما يلي:
علامك: كلمة بدوية "من اللهجة البدوية التي لازالت حية" وتعني ماذا بك.
حول: كلمة بدوية كذلك وتعني الحق أو أسرع باللحاق.
اسم الراوية: محمد خضر محمود، العمر ٤٠ سنة، المهنة شرطي متحفي، العنوان: موصل محلة الزنجيلي، تاريخ التسجيل ١٩٧٦/١٢/٢٠.

ويفيد الراوي انه سمعها عندما كان صغيرا من مجالس الشيوخ في الديوان.

الرواية الثالثة:

وفيها تغيير بسيط في معاني الكلمات، حيث لاتغير في البناء أو النص.

هلك شالوا على مكحول ياشير ١
وذبولك من عظام الحيل ياشير٢
الو تبجي بكل الدمع ياشير ٣
هلك شالو على حمص وحماة

١ - شير: اسم الكلب.
٢ - ياشير: ياشر، عكس الخير.
٣ - ياشير: ويستعمل هذا التكرار للمخاطبة.

اسم الراوية: دحام الجبوري، التراث الشعبي، العددان "٨،٧"، السنة الثانية، ١٩٧١، ص ١٠٧، وفيه تعقيب للسيد عامر رشيد السامرائي. اذ أورد اختلافا في نص الشطر الثاني من البيت كما جاء بتفسير مغاير للكلمات.

هلك شالوا على مكحول ياشير
وذبولك من عظام الجرر ياشير
الوتبجي بكل الدمع ياشير
هلك شالوا على حمص وحماة

الجزر : الابل المسنة
شير : جبل شيرين، في شمال العراق .
شير : الأسد .

والتفسير : اذا تساءلت عن أهلك فان وجهة سيرهم قد تكون الى جبل مكحول أو الى جبل شيرين .
اسم الراوية : عامر رشيد السامرائي، مجلة التراث الشعبي، العددان "١١،١٢" السنة الثانية، ١٩٧١، ص١٧٤ .

الرواية الرابع :

وتورد نفس النص مع وجود اختلاف في الشطر الثاني بكلمة واحدة وهي "الحيد" بدلا من كلمة "الحيل" اذ يقول :
وذبولك من عظام الحيد ياشير
- علي الخاقاني، فنون الأدب الشعبي، ج٣، ص١٠ .
- حمودي الوردي - الغناء العراقي، ج١ ، ط١ ، مطبعة أسعد، بغداد، ١٩٦٤ ، ص ٥٨ - ٦٠ ، برواية الاستاذ شعوبي ابراهيم .
ولو أسلمنا بصحة هذه الرواية مع تفسير هذه الكلمة فان الموقف هنا يختلف ، بل أن المادة التاريخية يعتورها الكثير من الاختلاف اذا ما نشرت حرفيا . لأن كلمة "الحيد" تعني الرجل المسن أو الهرم، فالمعنى هنا ان عبد الله عندما خاطب شير قصد ان أهله تركوا له "الحيد" أي الرجل الهرم فقط

ويقصد به نفسه، بينما كل الروايات الأخرى تؤكد ان أهله تركوا له لحم الذبائح من الابل والجزر أي "الحيل".

الرواية الخامسة:

وفيها بعض الاختلاف في الشطر الأول حيث جاء فيها:

هلك شالوا توالي الليل ياشير
وخلولك من عظام الحيل ياشير
لا تبجي بكل الدمع ياشير
هلك شالوا على حمص وحماة

ويشير الراوي على هذا البيت: "ان أهله لما تركوه في الديار مريضا بالجدري ومعه كلبه. وكانت في الديار عظام كثيرة من أثر الذبائح" ويعلق ثانية "ان هذا البيت أول بيت عتابا قاله عبد الله الفاضل متأثرا بـ "عتيبة" التي فقدت أولادها بنفس المرض الذي هو فيه.

اسم الراوية: مطلك فرحان ناصر، العمر ٦٥ سنة، المهنة: فلاح، العنوان: نينوى، قضاء الشرقاط، قرية أسديرة عليا.

وفي هذه الرواية تخلص الراوي من اشكالات تفسير "على مكحول" و "علامك حول" حيث أوردها بـ "توالي الليل" وحدد وجهة المسير حمص وحماة. علما أن هذه الرواية يتيمة ولم تؤيد برواية أخرى.

الرواية السادسة:

وهي نفس الرواية الثانية ومطابقة لها من ناحية النص. وقد أوردت قصة البيت على الشكل التالي:

"ان عبد الله لما دب المرض في جسمه وذبل عوده واستفحل أمره وأشكل علاجه، رحل أهله وتوجهوا الى مكحول بعد أن تركوه في بيت يأويه مع كلب يحميه. فلما وجد عبد الله نفسه على هذه الحال آلمه هذا المشهد فخاطب شير بقلب كسير وقال البيت أعلاه.

اسم الراوية: شعوبي ابراهيم خليل - المقامات: أدب، تاريخ، فن، فكاهة، ط١ ، مطبعة أسعد، بغداد، ١٩٦٣ ، ص٨٨ .

وانـنا اذ نتفق مع الروايات السالفة ومع بعض تفاسير رواتها الا ان رأينا يمكن أن يستخلص من التفسير اللفظي لمعنى الكلمات كما وردت في الأبيات الشعرية مستهدين بما تواتر الينا من أقوال الرواة. ويمكن اعطاء معاني الكلمات على الشكل التالي:

١ - على مكحول: هي أصلا "علامك حول" ماذا بك؟ الحق بهم.

٢ - ياشير: يا للمخاطبة. شير - اسم الكلب.

٣ - عظام الحيل: العظام - كناية عن اللحم والعظم. ففي البادية يختصرون كلمتي اللحم والعظم بكلمة عظم ولها نفس الدلالة.

الحيل - كلمة تعني الدابة التي يفوتها موسم ولا تلد فيه. حيث تسمى في ذلك الموسم - حايل - وهنا أراد الحايل من الابل والغنم. حيث مثل هذه تكون أكثر عرضة للذبح من

بقية الدواب الولودة . والحيل جمع حائل .

٤ - ياشير : شر : أيها الشر . وهنا أراد القول أن حظه سيء وأن لايمكن أن يلازمه الا الشر، وبما انك بقيت فأنت من الشر والشر منك .

٥ - بكل الدمع : أي مهما ذرفت من الدموع فانها لاتغني من الأمر شيئا .

٦ - ياشير كلمة كردية تعني الأسد . وهنا جاءت في موقع المدح .

٧ - حمص وحماة : مدينتان في سوريا . ومن الممكن انه قد قال حمص أو حماه حيث انهم رحلوا الى مدينة واحدة وليس الى مدينتين فهو غير متأكد من جهة رحيلهم الى أن ثبت انهم رحلوا بالفعل الى مدينة حماة حيث استقروا بها ولازال أكثر الحسنة في حماه . وقد أيد ذلك الاستاذ عمر كحالة في كتابه معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ج٢ ، مطبعة الهاشمي، دمشق، ١٩٤٩ ، ص ٨٤٧ .

وهناك رأي بصدد الخلاف بين مكحول وحمص وحماه . يمكن استخلاصه لغويا من النص . أي هو رأي لايعتمد على رواية أو حدث .

فمكحول جبل في العراق ويقع شرق منطقة الحدث - الخابور . أما حمص وحماه فتقعان غرب منطقة الحدث . فاذا أسلمنا ان المقصود بكلمة مكحول في البيت هي جبل مكحول فان عبد الله الفاضل هنا يشارك شير حيرته وجهله باتجاه سير أهله فقد يكونوا اتجهوا شرقا الى مكحول . وقد يكونوا اتجهوا غربا الى حمص وحماة . فمن الممكن أن

يكون عبد الله سمع أهله قبل السفر يتدابرون فيما بينهم لتحديد جهة سفرهم. وهناك احتمالات فقد يكون أهله قد قرروا السفر الى منطقة يجهلها عبد الله ولذلك أسمعوه أكثر من منطقة في أكثر من اتجاه سوف يقصدونه ليختلط عليه الامر.

وقد يكون انهم قرروا السفر للابتعاد عن المنطقة التي فيها عبد الله وليس في نيتهم الاتجاه الى منطقة محددة ولذلك ذكروا أكثر من منطقة وفي اتجاهات متضادة.

(١٢) تمرباش الملي، أو تيمور باشا الملي زعيم قبلي مشهور كان يشغل منصبا كبيرا في استنبول ثم عزل عنه وعاد الى زعامة قبيلته الملية وتنحصر باشويته فيما بعد بين "١١٩٤ - ١٢٠٦ هـ".

انظر ياسين خير الله العمري - زبدة الآثار الجلية في الحوادث الأرضية - انتخب زبدته المرحوم الدكتور داود الجلبي. تحقيق عماد عبد السلام رؤوف. مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ص ،١٦٤ هامش٣.

(١٣) الملية: عشيرة نصف سيارة. ويتكلمون اللغة الكرمانجية والزازائية. ويوجد بين ديار بكر وطور عابدين أكراد كثر يسود الاعتقاد انهم من الملية. ويروى ان هذه العشيرة من قبائل التركمان أسكنها السلطان سليم الأول في جبل "قره جه طاغ" ثم اندمجت بالقبائل الكردية فغلبت عليها صفة القبيلة الكردية.

وفي أواخر باشوية تمر باشا أي في سنة "١٢٠٦هـ" هرب الى ماردين بعد أن انتصر عليه سليمان بك الشاوي ثم عاد الى بغداد في عان (١٢٠٨هـ) وسكن في دار احمد بن الحاج سليمان بك الشاوي وبعدها انقطعت أخباره. أنظر: ياسين خير الله العمري، نفس المصدر السابق، ص ١٦٤، هامش ٤.

ومما يذكر انه كان لتمرباش عداء مستحكم مع سليمان بيك - أمير قبيلة العبيد - فجهز جيشا مع أمير الموالي "الحجاج بن الخرفان" لحرب سليمان. الا ان النصر كان لسليمان فقتل أخ تمرباش "درويش أغا" وكذلك بشار ابن عمه. كما اسر الحجاج. الا ان سليمان أكرمه واتفق معه على حرب تمرباش ثم أطلق سراحه ولذلك قيل "العرب خانت تمرباش" الا ان الذين خانوا تمرباش هم الموالي الذين اتفقوا مع سليمان بيك. حيث هرب تمرباش ومعه زوجته وتسعة رجال من حاشيته. فاستولى سليمان بك على أمواله وخزائنه وأسر بناته. الا انه عز وجاه حتى صح فيهم قول الشاعر.

عواقب البغي لها مصرع تنزل السلطان من عرشه
اذا طغى الكبش بشحم الكلى أدرج رأس الكبش في كرشه

- انظر ياسين العمري، نفس المصدر أعلاه، ص ١٦٧، هامش ٤، وص ١٦٨.

وهناك حادثة طريفة بين تمرباش وواوي العجل.

"واوي العجل هذا رجل من عشيرة الجبور انحدر منه قوم يتمركزون حاليا في منطقة الصلاحية بالقرب من ناحية حمام العليل في قرية "أجهينة" وسكانها يسمون حاليا "العطا الله". وهؤلاء فخذ من عشيرة الجبور. وواوي هذا كان من مؤيدي سليمان بك الشاوي فقال قولا هجا فيه تمرباش. وصادف أن لقاه تمرباش عما قاله فيه. فأنكر واوي ماقاله وفي الحال مدحه بثلاثة أبيات من العتابا هي:

تمر ١ تمر ٢ من أسموك
وسام ٣ الناس كلها من اسموك ٤
مثل وبل السخط حدر من اسموك ٥
يرعد فكك مماجيد الصفى ٦
تمر تمر صحيح ٧ وتمر عجاه ٨
وجم طفل بحد السف عجاه ٩
متى ما غدت للفرسان عجاه ١٠
أخو ثورة بريح المنكضات
صفى صافي مثل دمك النهارين ١١
الا حدى يزهي وردهم نهارين ١٢
وزان ما بطل ندى

١ـ تمر: اسم تيمور باشا الملي، الذي يسمى تمر باشا باللهجة العامية.

٢ـتمر: ثمر النخيل المعروف، ويعني به اسمك حلو اكثر من حلاوة التمر.

٣ـ اسمك: اسمك.

٤ـ اسمك: لاسمك.

٥- اسموك: سماؤك، اي السماء التي تطلك.
٦- الصفى: حجر الحلان المتماسك، يسمى باللهجة العامية - صفى.
٧- تمر صحيح، التمر الجيد.
٨- عجاه: التمر الرديء.
٩- عجاه: يتمة - اليتيم في ريف منطقة الموصل يسمى "عجي".
١٠- عجاه: عجاج الخيل في المعركة.
١١- نهارين: النهرين، دجلة والفرات.
١٢- نهارين: النهار.

(١٤) عبد ربه: كان شيخ بطن من عشيرة الجبور وكانوا يسكنون منطقة الخابور بسوريا ولكنه رحل بهم الى العراق وانتشروا في منطقة نمرود وقرية الجايف جنوب شرق الموصل حيث سكنت عشيرته وامتهنت الزراعة. لكنه سرعان ما اختلف مع السلطة العثمانية وعاد الى الخابور. وهناك تصارع مع السلطة العثمانية الا انه لم يعد الى العراق حيث توفي في الخابور.

الراوية هو حسين رمضان علي، مواليد الشرقاط عام ١٩٢٨، استديرة وسطى، مهنته فلاح، تاريخ التسجيل ١٩٧٩/١/١.

(١٥) اسم الرواية: فتحي عبد الله الكلش، العمر ١٢٠ سنة، المهنة عاجز، العنوان: محافظة نينوى، قضاء تلعفر،

ناحية زمار، تاريخ التسجيل ١٩٧٦/٣/١٠.

(١٦) عجيد: اي العقيد وهو الذي يعقد عنه الرأي حيث تكون كلمته هي العليا والاخيرة ولا يبرز دوره الا في الحروب والغزوات وعجيد القوم، اي عقيد القوم هو قائدهم.

(١٧) الطارفة: حبال بيت الشعر الامامية. من الجوانب تسمى طوارف ومفردها. طارفة.

(١٨) التحكيم عند البدو يسمى "حك" اي حق والحكم يسنى "العارفة". اي الشخص العارف بالامور، والمراد بالعارفة في عرف البادية هو الشخص العارف للقانون والعرف البدوي الذي يحكمهم، حيث كان لكل عشيرة قانون خاص بها هو تطبيق لعاداتها وتقاليدها.

وهذا العارفة يتفق عليه الجميع بعد ان يجربوا حلمه وذكاءه ويجرب عدله، حيث يبقى طول حياته. ولكن وجود عارفة لا يتعارض مع وجود عارفة آخر. وكان العارفة يعطى اجرا مقابل كل قضية يحكمها وهذا الاجر يسمى "خلعة" يدفعها الخاسر نتيجة التحكيم، ولا زالت بقايا هذا النظام سارية في البادية. وابن الزميلي هذا كان عارفة مشهورا بل كان مضربا للامثال. حتى ليقال في القضايا المستعصية الحل "والله ما يحلها ابن الزميلي".

وفي موضوع التحكيم هناك اكثر من رواية قيلت انها كانت سببا للتحكيم، الا ان جل هذه الروايات كانت احادية المصدر ولم تؤيد باسانيد اخرى.

ومن الرواة الشيخ محمد ظاهر العلي، قضاء الشرقاط، العمر ٧٠ سنة، المهنة: مقعد عن العمل، تاريخ التسجيل ١٩٧٥/٧/١.

ومن الروايات التي اختلفت عما ذكرنا سالفا نذكر الروايات التالية:

الرواية الاولى

تفيد هذه الرواية ان عبد الله الفاضل كان الولد الوحيد لابنه. وعند بلوغه اختلف مع والده لاختلاف كل منهما في منهج حياته. فقد شب عبد الله على الفروسية والشجاعة وحب الطعان والحرب. بينما شاب الاب على الكياسة والكرم وتقديم الصينية على السيف. مما دفع هذا الاختلاف شباب الحسنة الطموح ان يلتف حول عبد الله. فنتج عن ذلك انقسام العشيرة حيث ابتنى عبد الله بيتا بعيدا عن بيت ابيه وحوله من تبعه من قومه. وفي يوم زار عبد الله والده مع قلة من جماعته فرحب بهم الوالد وذبح لهم جزورا. ولما دارت القهوة على الجلوس وقف حاملها محتارا بمن يبتدء وقد تصدر المجلس اثنان يتنازعان الزعامة والمشيخة. ايصبها لعبد الله فارس العشيرة وعجيدها وهو اليوم ضيفها. ام يصبها للشيخ الاصل كريم العشيرة

وفخرها وهو الاب فلما رأى فاصل حيرة حامل الدلة عرف سبب حيرته فقال له "صبها لليشتريها بالذهب الاصفر" ويقصد نفسه. ولكن عبد الله رد عليه وقال للكهوجي " صبها للي ينطح الكوم اذا تلاكت بالوعر" عند ذاك رأى الكهوجي ان الامر وصل الى حالة يصعب معها ان يفصل فيه مما دعاه الى ان يرجع بدلته. ففنجان القهوة واحد ولابد من شارب أول. اي لابد ان يكون هناك شيخ واحد فالعشيرة واحدة. لذلك طلب فاصل التحكيم. فكان ابن الزميلي من اختار.

الرواية الثانية:

اما هذه الرواية فتذكر انه عندما تمرض عبد الله كان والده على قيد الحياة وتركوه في الديار وبعد شفاءه من مرضه ورجوعه الى الديار غاضبا وملؤه العتب على ابيه باعتباره شيخ القبيلة وهو الذي امر بالرحيل وترك عبد الله مع كلبه شير. فطلب الوالد منه الصفح. لكن عبد الله ابى الا ان يحتكم وابيه امام العوارف. فكان العارفة المختار ابن الزميلي. وكانت نتيجة التحكيم ان اصبح عبد الله شيخ العشيرة.

(١٩) اسم الرواية: الشيخ محمد ظاهر العلي، نينوى، الشرقاط.

(٢٠) في العادة التحكيم يجري بصورة علنية وامام جمع من

الحضور. حيث كان على الحضور الجلوس بصمت ومراقبة اجراءات التحكيم وانتظار النتيجة. واذا لم يكن احد موجود في مجلس العارفة ساعة التحكيم يخرج مناد في الحي ويصيح "حك، حك اليوم عند العارفة حك" حيث يجتمع الملأ ليحضروا ويعرفوا نتيجة التحكيم لمراقبة التحكيم واكتساب الخبرة من العارفة. كما ان الحضور يعتبرون بمثابة الصحف التي تنشر اعلان او خبر نتيجة التحكيم.

(٢١) اسم الرواية: الحاج علي خلف حمادة البغزاوي، العمر ٦٠ سنة، المهنة فلاح. العنوان: نينوى، الشرقاط، قرية اسديرة سفلى، تاريخ التسجيل ٣١/٢١/١٩٧٤.

(٢٢)

١- النزيل: الغريب. وهو الشخص الذي يترك عشيرته ويسكن عند عشيرة اخرى.

٢- منكال: "من قال" اي الذي يقول عليهم كالشاعر والمتسول والغجري وماشاكل ذلك. فهؤلاء جميعهم نعزهم ونكرمهم. وتعني كذلك اننا نعز كل من طلب النجدة.

٣- الروز: الاحجار الكبيرة، والروز الوزن الكبير.

٤- منكال: منقال احجار صغيرة تستعمل في لعبة "الدامة" وهي نوع من الالعاب الشعبية وتسمى احجارها حجر المنقال لكون لاعبيها ينقلون الاحجار من مكان الى آخر.

انظر: مقالنا المنشور في مجلة التراث الشعبي العدد ٢ و٣

لسنة ١٩٧٦ وتحت عنوان مهنة الرعي في العراق. ص ٤٧-٧٦.
٥- انهطل: هطل الماء. هو النزيز الارضي للماء وعادة يكون قليلا.
٦- من كول: هو الغدير الكبير الذي يبقى فيه الماء لفترة طويلة.
والمعنى الاجمالي للبيت ان اهله يعزون الغريب والشاعر وطالب النجدة منهم. كما انهم في المعارك يصمدون ولا يتحركون الى الوراء كأنهم احجار كبيرة. وهم لكثرتهم كفيضان الانهار في شهر نيسان الذي يغطي حتى المرتفعات.

(٢٢) اسم الراوية: خلف خالد شحاذة: العمر ٧٠ سنة، المهنة، مختار قرية قهارة، قضاء الشرقاط، تاريخ التسجيل ١٩٧٦/١٢/١٦
١- يشبون النار: يضرمون النار ويشعلونها.
٢- يشبون: يصعدون
٣- سبايا: الخيل - الخيل الاصيلة.
٤- يشبون: يضربون الخيل من الذكور لتحمل.
والمعنى: ان اهله اهل كرم وضيافة ويشعلون النار دائما ليهتدي اليها الضيوف في الليل. كما انهم لا يخشون احدا بحيث يصعدون الى كل مكان مرتفع. اي باستطاعتهم مقارعة اي عشيرة. وليس من عادتهم ان يضربون الخيل لتحمل فتتكاثر لان الحمل يعطلها عن الحرب والطعان.
وهناك روايات اخرى حول هذا البيت قيلت بشكل اخر. ومن هذه الروايات.

الرواية الاولى:

هلي كبل الفجر لازم يشبون
الضوه وبالمركب العالي يشبون
هلي ما كادوا العاطف يشبون
ادعوهه حيال لطراد الضحى

- أنظر علي الخاقاني - فنون الادب الشعبي ، ج٣، ص ١٠.
محمد باقر الارواني - ديون الهوى والغرام، مطبعة الحكمة، بغداد، ١٩٦٢، ص٦٠.

الرواية الثانية:

نفس النص اعلاه مع اختلاف في الشرح الموجز التالي:
"من عادة اهلي انهم يوقدون النار قبل الفجر. فوق الجبال العالية. وهم لا يقدمون خيلهم الى الشياع، بل يتركونها حائلة ليوم الوغى".
انظر: عبد الرزاق الحسني، الاغاني الشعبية، ص١٠٦.

(٢٤) اسم الرواية لمجمل قصة الصلح هذه هو الشيخ خلف خالد شحاذ.

(٢٥) ان ثريا بحكم وجودها مع عبد الله كزوجة له واعجابها به تعلمت نظم العتابا منه.

(٢٦) اسم الراوية: حسين موسى حسين - قضاء عنه - محافظة الانبار - العمر ٨٠ سنة، المهنة: كاسب، تاريخ التسجيل ١٩٧٩/٥/٢٠

١- مسجبة: تسكب مطرا، اي تمطر بغزارة.

٢- مسجبة: ضفائرها سائبة وتنزل قطرات المطر مع الشعر. فكأنها تسكب مطرا ايضا.

٣- والمسجبة: مسك به، اي فيه رائحة المسك.

٤- المعطنات: المعطن - المعفن - ذي الرائحة العفنة.

ومعنى البيت: فيه وصف لثريا ودموعها المدرارة في الجو الممطر وكأن السماء وثريا تبكيان مصيبة واحدة. حيث اختلط ماء المطر بدموع ثريا وان ماء المطر بلل ضفائر "جدائل" ثريا. ثم ينتقل الشاعر لوصف حالة الحرب والغبار المتطاير من حوافر الخيل وانه افضل من حياة القرية السكنة حيث العفونة والهدوء.

وقد ورد هذا البيت في روايات اخرى منها.

الرواية الاولى:

تشبه النص السابق مع اختلاف في كلمة "تلوح" حيث وردت بدلا من كلمة "تنوح". كما اورد الراوي تفسيرا مغايرا بعض الشيء "فثريا زوجة عبد الله الفاضل وهو

يصفها اثناء المطر. فكأنها المطر حينما يلامس الجعود ينزل من فوقها كالمسك".

انظر دحام الجبوري، نفس المصدر السابق، ص ١١٢.

وكذلك ثامر عبد الحسن العامري، غناء ريف العراق، مطبعة الحوادث، بغداد، ص ١٤٨

الرواية الثانية:

اورد نفس النص مع ادخال كلمة "ركية" بدلا من "ثريا" وعاد الى "تنوح" بدلا من "تلوح" كما اورد معان للكلمات وتفسير يختلف عما سلف وانكر ان يكون هذا البيت للشاعر عبد الله الفاضل اصلا.

ركية ١ تنوح والدنيه مسجبه ٢
مطر وجعود خلاني مسجبة ٣
عجاج الظعن ٤ عنبر والمسجبة
احخير من الكرايا ٦ والمعطنات ٧

١ـ ركية: اسم امرأة.
٢ـ مسجبة: ممطرة
٣ـ مسجبة: حزينة، باكية.
٤ـ عجاج الظعن: الغبار التي تثيره الاغنام او القوافل.
٥ـ مسجبة: تلفظ كلمة واحدة الا انها تتكون من كلمة "المسج" و "بة".

٦- الكرايا : القرى .
٧- المعطنات : اعطنت القرية اذا توقفت نواعيرها وملئت سواقيها بالماء الاسن والذي يعلوه نبات أخضر يملأ السواقي يطلق عليه علميا "السبيروجيرا " .

وقصة هذه البيت كما اوردها الراوي :

"ان رجلا له اغناما كثيرة. فصادف ان اجدبت الارض وحل القحط مما اضطره الى ان يبادل اغنامه بنواعير في قرية. ولكن لكل مهنة فن. وصاحبنا مهنته الرعي ولا يفهم من الزرع او ادارة النواعير شيئا لذا توقفت النواعير واسن الماء في السواقي اما اغنامه فقد تحسن حالها بعد ان زال الجدب والقحط مما أثر فيه فكان كلما رأى اغنامه تثار اشجانه الى ان قتله الالم والغيظ حيث ضرب به المثل الشعبي "طكة بنيجة " وبنيجة هو اسم صاحب الاغنام

انظر طلال سالم الحديثي "صور من حياتنا الشعبية"، ص ٦٠ .

وكذلك طلال سالم الحديثي "من التراث الشعبي في العراق "، ص ٣٩ .

الرواية الاخيرة :

فيها اختلاف في شطرين من البيت كما ان الموقف في القصة يختلف .

هلا بثرى والمسج به
بطر وجعود خلاني مسج به
عجاج الظعن عنبر والمسج به
اخير من الكرايا المعطنة

اما قصة البيت فهي انه عندما تمرض عبد الله ، قرر اهله الرحيل وتركه في الديار سلمت عليه ثريا سلاما حارا وهي باكية لفراقه فلما ركبت هودجها قال فيها هذا البيت:
اسم الراوية: محمد محمود صالح، العمر ٦٥ سنة، المهنة فلاح، العنوان: نينوى، ناحية زمار قرية تل ابو ظاهر.
وهناك تعقيب نشره عامر رشيد السامرائي ردا على تفسير دحام الجبوري للبيت حيث قال ان لفظي مسجبة الاولى تعني المسك. وصواب المعنى عند السامرائي هو ان ثريا تلوح لنا والسماء ينسكب منها المطر مدرارا. بينما "جعود" ناقة خلاني القوية "مسجبة" مسرعة في سيرها. ورائحة العجاج الذي اثاره الضعن - ضعن الاحبة كرائحة المسك - ...الخ".
انظر عامر رشيد السامرائي، التراث الشعبي، العدد "١١،١٢"، السنة ١٩٧١، ص ٧٤.

(٢٧) اسم الراوية: حمد ابراهيم الجبوري. العمر ٥٨ سنة، المهنة فلاح. العنوان: محافظة ديالى، خانقين، ناحية السعدية، قرية الطبالة، ١٩٧٧/١٢/٢٥.
١ـ ليلى: اسم زوجته.

٢ـ بس العين: العين ظاهرة فقط اما باقي الوجه فمخفي.
٣ـ الجازي: نوع من الغزلان يعيش في ارض الشام.
٤ـ بس العين: فقط العين "حوار الجنة".
٥ـ بس اعن: لي العنين ـ الانين ـ فقط.

وفي رواية اخرى هناك اختلاف في النص مع اختلاف في القصة والموقف.

يليلي مخفية الوجنه بس العين
اخافنج ينشميه ٢ بس تلعين ٣
بحظن ٤ الهاجمى ساكه اركاب

١ـ الجودي: النياق.
٢ـ ينشمية: النشمية، المرأة العاقلة، الاشتقاق من الشيمة.
٣ـ تلعين: تئنين
٤ـ الحظن: كناية عن الزوج، في حظن فلان، اي زوجة فلان.

والمعنى الاجمالي للبيت: ان ليلى لم تظهر سوى عينيها وهي جميلة جدا وليس لها شبيه حتى مع الجياد شبيهاتها حوار العين ـ في الجنة ـ وانه خائف اذا ما اجبرت على الزواج بعده فقد تتزوج من رجل جبان.

وقصة هذا البيت حسب هذه الرواية، ان عبد الله لما شفي من مرضه وتشوهت خلقته فظنه الكل انه مات. عاد

متنكرا الى بيته فظن به البعض لكنه بدد ظنهم فسألوا عمن يمكن ان يقطع الشك باليقين من معرفته فكانت زوجته ليلى، والتي تزوجت من رجل آخر، ولكن العرف لا يسمح لامرأة متزوجة ان تظهر امام رجل غريب. حيث فتحوا لها فتحة صغيرة من البيت تطل على المضيف لا يظهر منها الا عينيها، وكانت الفتحة قبالة مجلس عبد الله فعرفته ولكنه عرفها ايضا وان لم يظهر منها الا عينها فسبقها بقول البيت اعلاه.

وفي رواية اخرى ورد اختلاف في النص في الشطرين الاخيرين فقط وهما.

"الا يعبد الله ترج الونه بازي اتعن
ضعنهم شال والحادي سرا "

أسم الراوية: محمد محمود حسين.
وهناك رواية اخرى تورد ما يلي:
"اني الطعين من هوى ليلى بس اعن
وعليه يوحش الطارش خلا "

والرواية التالية يرد فيها نفس النص مع اختلاف في الشطر الاخير فقط.
"عنين الديدبانة ١ بالخلى "
١- الديدبانة: طير القطا.
اما الرواية التالية ففيها اختلاف في الشطرين الاخيرين وهما:

"اسفة يريمة الغزلان تلعين
بحظن الماحمه ساكة ارجاب"

(٢٨) حمـودي الوردي ـ الغنـاء العراقي، ج١، ط١، مطبعة اسعد، بغداد، ١٩٦٤، ص ٥٨ـ ٦٠.

بـرواية الاستاذ شعوبي ابراهيم.

بينما اضفنا الى اعلاه شرح معاني الكلمات من عندنا.

١ـ دنياي: الدنيا، الحياة الدنيا.

٢ـ دنـيـاي: دنـيـا اسـم امـرأة واليـاء للتـمـلك فيصبح معني دنياي، زوجتي دنيا.

٣ـ دنياي: ادن: تقدم، ياي: جاي، اي تقدم الى هنا.

٤ـ تكلط: اقترب.

وفي روايـة الاسـتـاذ شعوبـي ابـراهـيـم يورد نفـس النص مع اختلاف في صياغة الكلمات الا انه يضيف معان لكلمات وقصة البيت. وهي كما يلي:

سمعنا بالمعادة ١ حسن دنياي ٢
جده حظي وخانت بيه دنياي ٣
ولا احد كال يا مسجين دنياي ٤
تكلط على الفراش من التراب.

١ـ المعادة: المأتم.

٢ـ دنياي: اسم زوجتي دنيا.

٣ـ دنياي: دنيتي، الدنيا التي اعيشها.

٤ـ دنياي: تعال "جاي" البدو لا يلفظون الجيم.

وقصة هذا البيت ان عبد الله لما مرض وصعب شفاؤه هام في الصحراء فحزنت عليه زوجته "دنيا" ولبست السواد ولما شفي وعاد وسمع رنة البكاء واقترب وهو محزون واهله له منكرون انشد هذا البيت، ولما سمعه الجلاس شاعت عتابته بين الناس.

أنظر شعوبي ابراهيم، المقامات، ص ٨٨.

وهناك رواية تفيد ان الكلب شير لم يترك طليق السراح بل اوثقوا رباطه بحبل. وتركوا بالقرب منه لحم حوار صغير وليس ناقة كبيرة. وكان بالقرب منه غدير ماء بحيث يصله الكلب وهو مربوط بالحبل الطويل.

اسم الراوية: الشيخ خلف خالد الشحاذة.

وفي رواية اخرى يذكر ان عبد الله لم يبق وحده مع كلبه وانما بقيت معه ابنته. وملخص القصة "ان هذه الفتاة كانت تحب اباها حبا كبيرا وسهرت الليالي في مداراته ولم تتهيب الاصابة بالعدوى منه. ولما حملت المضاهير حاولت البقاء معه لكن الاهل اجبروها على الرحيل وما ان سارت العير مسافة حتى فكرت بحيلة ترجع بها الى ابيها. حيث وخزت ظهر يدها فتورمت يدها. ثم صاحت لقد سخنت ـ اي انني اشعر بالمرض ـ فلما رأى القوم الورم في يديها ظنوا انها اصيبت بالعدوى لانها لازمت اباها تمرضه لذا تركوها في الطريق حيث عادت الى ابيها وبقيت معه تداريه الى ان شفي من مرضه، ولكن هذه الفتاة انقطعت اخبارها".

اسم الراوية: مصطفى علي احمد، العمر ٥٥ سنة، المهنة فلاح، العنوان: ناحية الشورة، قرية الفارسية السفلى، التسجيل ١٩٧٦/١٢/٢٣-١/محرم/١٣٩٧هـ.

والرواية السالفة رواية ضعيفة ولم تؤيد او تسند بروايات اخرى.

(٣٠) انظر هامش ٢٧.

(٣١) اسم الراوية: الشيخ احمد الحاجم، مختار قرية البوفراج، سور مهرة، ناحية البروانة، قضاء حديثة، العمر ٨٠ سنة، تاريخ الرواية ١٩٧٩/١٢/١٠.

١- ماساكوني: لم يسوقوني، لم يأخذوني معهم.

٢- الهاسوك اني: الاسير انا.

٣- ما اسكوني: لن يسقوني الماء.

وفي رواية اخرى يكون النص على الشكل التالي:

هلي شالوا بجهمة وما ساكوني

وخلوني شبيه الهاسوك اني

يبدون الروايا وما اسكوني

يويلي من هلي بان الجفا.

أسم الراوية: مطلك فرحان ناصر.

ويذكر هذا الراوي ان هذا البيت هو ثاني بيت عتابة قاله عبد الله الفاضل بعد بيته: "هلك شالوا توالي الليل يا شير".

(٣٢) انظر هامش رقم١١.

(٣٣) اسم الراوية محمد تايه.

١- جعود : كالعود.

٢- شالوا : غدير ماء في اسفله طين غزير.

٣- شالوا : رحلوا.

٤- هذا الشطر نساه الراوي وحاولنا البحث عنه عند رواة اخرين ولم نفلح.

(٣٤) اسم الراوية: دلي مطيخ البغيلي، العمر ٥٧ سنة، قرية الفحيمي، قضاء عنه، الانبار، تاريخ الرواية ١/٢/١٩٨٠

١- ماشاروني: لم يستشيروني.

٢- ماشاروني: لم يشتروني.

٣- مشهراني: لم اشهر دائي، اي كضمت غيضي وما اصابني.

(٣٥) عامر رشيد السامرائي، مباحث في الادب الشعبي، ص١٥٢-١٥٥، علي الخاقاني، فنون ادب شعبي، ج٣، ص ١٣.

وقد أورد الاستاذ السامرائي تفسيرا لكلمات ومعنى البيت مع تعليقات بسيطة نوردها كاملة:

١- اجي : ابكي.

٢- على روحي: على نفسي.

٣- وناحي: وانوح.

٤- بعيني: في عيني.

٥ـ حليت: صارت حلوة، "وقد علق المؤلف على هذه الكلمة مشككا في صحتها حيث انها تجعل النص غامضا واليك التعليق" "وارى من لفظة (حليت) جعلت معنى النص غامضا اذ لا يصح ان يبدأ الشاعر بالبكاء على الدنيا ثم يقول انها جميلة فأن استعملنا كلمة (ضاكت) اي ضاقت استقام المعنى".

ـ وناحي: نواحيها.

٧ـ وناحي: انا حي. انا حي يرزق.

٨ـ ردات التراب: يقال رد التراب عليه اذا اهاله عليه "اي عند دفنه في القبر".

والمعنى: اريد ان ابكي على نفسي، الدنيا جميلة في نظري، ان الصديق هو من ينفعني ويرحم حالي، وانا على قيد الحياة، والا فأي فائدة من وراءه يوم اموت ويهال فوقي التراب.

وفي رواية اخرى، تأتي كلمة "ضاكت" بدلا من "حليت" كما ارادها السامرائي وكلمة "المبجى عني" بدلا من "الهارحم حالي" فيكون النص على الشكل التالي:

اريد ابجي على روحي واناحي
ابعيني ضاكت الدنيا واناحي
صديج الهابجى عني واناحي
شلي بيه يوم ردات التراب

فيكون المعنى - كما اورد الباحث - انه مما يسلي النفس ان يندب الانسان حياته وهو حي بعدما ضاقت به السبل، وليس له صديق يعزيه ويشاركه مصابه، والا من نفع الصديق

اذا انطوت صفحته وغاب تحت الثرى.

انظر طلال الحديثي - من التراث الشعبي في العراق، ص ٤٠.

وفي رواية الاستاذ الحسني يرد النص الاول نفسه - الذي اورد السامرائي والخاقاني - مع تغيير بسيط في الشطرين الاخيرين وهما:

"صديج اليماينفعني ونا حي

ماريده يوم ردات التراب"

والمعنى "اريد ان ابكي على نفسي وانوح فقد حليت الدنيا نواحيها في عيني. ان الصديق الذي لا ينفعني وانا حي لا ابغيه يوم يواروني التراب".

انظر عبد الرزاق الحسني - الاغاني الشعبية، ص ١١١.

(٣٦) طلال سالم الحديثي، صور من حياتنا الشعبية، ص ٦١.

وقد اورد الباحث تفسيرا للكلمات سنوردها نصا اما الكلمات المحصورة بين " " فهي من تعليقنا.

١- الحساب: تقول العامية يحسب - بمعنى - يفكر

٢- والهم: واهيم

٣- الدرنوح: نوع من الديدان "تجتمع الديدان في قعر الغدير الاسن، فكلما جفت جوانبه اجتمعت في الوسط، وعندما يجف تماما تبقى في الوسط، وهذه تؤخذ وتسحق على شكل مسحوق وتعطى كسم قاتل.

وهذا السلاح الخفي استعملته النسوة للخلاص من

ازواجهن المجبرات على زواجهن منهم.

٤ـ الهم: التهم.

هـ الهم: "الهموم".

والباحث الحديثي اورد النص نفسه في كتابه الثاني لكنه جاء بكلمة "الخرنوب" بدلا من الدرنوح "ولابد ان نلاحظ ان الخرنوب هو ثمر الشوك البري. وهو علاج وليس سما، فالخرنوب لحد الان يستعمل كدواء شافي للاسهال، ولهذا ترجح كلمة الدرنوح".

وقد جاء في شرح للبيت بكتابه الاخير هذا نصه "لقد انطفأت شموع الحياة وادال الهم. والتحسب فيض الاشراق والسرور بالنفس سحقا وتثبيطا من بارقات المنى والامل فلابد من رضيع يزيح هذه الصور المأساوية وتتجلجل مع ضحكاته البريئة رقة طموح وتطلع يمكن ان تكلأ الجرح وتبرأ السقم.

أنظر الحديثي، من التراث الشعبي في العراق، ص٤٠.

(٣٧) طلال سالم الحديثي، صور من حياتنا الشعبية، ص٦٢.

١ـ ماجود: اسم الشخص المداوي، ويرى الباحث، ان ماجود لا تدل على اسم شخص معين كما تلفظ بهذا المعنى "وانا اتفق مع الحديثي على هذا الرأي وهو ان الماجور هنا هو الشخص القريب منه وهو اسم معنوي ومن المحتمل ان يخاطب الكلب "شير" لانه الوحيد الموجود معه.

٢ـ جمر الغضا: الغضا نوع من الاشجار تشتهر بجودة اشتعالها واستمرار بصيصها مدة طويلة.

٣ـ ماجود : موجود " وانا اختلف هنا مع الحديثي في تفسير معنى الكلمة لان العتابا لا يمكن ان يكون فيها كلمتان في اخر كل شطر متشابهتان ولها نفس المعنى . فكلمة ماجود هنا تعني موقود اي لا يزال مشتعلا " .

٤ـ ماجود : موجود .

٥ـ صرفاته : التفاتاته .

٦ـ كراب : قريبه .

(٣٨) علي الخاقاني، فنون الادب الشعبي، ص ١٠.

وعبد الرزاق الحسني، الاغاني الشعبية، مطبعة النجاح، بغداد، ١٩٢٩، ص ١١٠.

محمد باقر الارواني : ديوان الهوى والغرام، ج٢، ص ٦٠.

ويضيف الاستاذ الحسني شرحا لمعنى البيت فيقول "ابتعد اهلي وتركوني بدارهم كالهائم، متى تنير ليلتنا يابدرهم " اي كوكبهم "فتفرق بهم الظلمة والضياء ".

وقد ورد النص في مقال آخر وفيه بعض التغيير في كلمات النص :

هلي شالوا وخلوني بدرهم
وظليت جما الهايم بدرهم
متى تشرق على ليلى بدرهم
وتزيل الظلام من الضيا

انظر : تقي مطشر، صلة التعبير بين الادب الشعبي، مجلة التراث الشعبي، العدد "١٢،١١" لسنة ١٩٧١، ص ٨٠ـ٨١.

ولابد ان نضيف شرحا لمعاني الكلمات اتماما للفائدة.

١- بدرهم: في دارهم.

٢- بدرهم: بسببهم، هم سبب هيامي وحيرتي.

بدرهم: بدرهم - قمرهم - كوكبهم.

(٣٩) اسم الراوية: ظاهر العلي العبد الله، العمر ٧٥ سنة، قرية الزاوية، ناحية القيارة، محافظة نينوى، تاريخ الرواية ١٩٧٥/٣/٥.

١- واني: انا

٢- حال واني: اي حال واني بمعنى متردي، اي حالي متردي.

٣- والني، النيء، هو الفطير، او غير كامل النضوج "وتعني الانسان الذي لا يفكر بعواقب الامور"

٤- يتسهج: يضحك.

(٤٠) اسم الراوية: مطشر محسن الهوار، ربيعة، محافظة نينوى، قرية العصرية، العمر ٥٠ سنة، تاريخ الرواية حزيران / ١٩٦٨.

١- ولوماي - ايماء- التلويح بالاشارة وهو الايماء باليد.

٢- ولوماي: اللوم

٣- ... البيت شطر من هذا البيت لم نستطع العثور عليه اذ نسيه الراوي وحاولنا الاستقصاء عنه عند رواة اخرين ولم نحقق نتيجة".

(٤١) اسم الراوية: سالم دليمي طعمة، رواها عن والده

المرحوم الدليمي الطعمة المسكن بعاجة، شرقاط، تاريخ الرواية ١٣/ ١/ ١٩٧٤.

١ـ مسعداني: لن اسعد ابدا.

٢ـ مسعداني: سعيد انا.

٣ـ مسعداني: مؤلفة من كلمتين "مسعد" و "والنيء" والمعنى سعيد النيء.

اي الشخص الذي لا يفكر او ان تفكيره محدوده يبقى سعيدا لان مشاعره قليلة الاحساس.

(٤٢) ابو الخلا: لقب لجميع رجال الصليب فكل واحد منهم يسمى "ابو الخلا" لانه يعيش في خلاء البر ويعلم بخفايا الصحراء. فهو احسن رجل جغرافية في الصحراء يعلم مواقع الحياة ومسالك العربان.

(٤٣) الدابة التي يستعملها ابو الخلا على الغالب تكون شهرية، والشهرية نوع من الحمير لونها ابيض وهي اكبر بجسدها من الحمير العادية واسرع في الجري وهي اقرب شبها بالبغال، وابو الخلا يدربها على فنون الصيد والاختباء، ويعطيها اسم تعرفه اذا ناداها به.

(٤٤) اسم الراوية: عبد درب حمادة ابو يوسف، العمر ٥٨ سنة، قرية الخصم، الشرقاط، نينوى، تاريخ التسجيل ٧/٤/١٩٧٣.

١ـ شلوين: اين شال: اين ذهب ضعن الاهل والاحبة؟

٢ـ شلوين : اسم مكان .
٣ـ شلوين : الشلو ـ قطعة من اللحم ـ شلوين قطعتين من اللحم .

والمعنى ايها القابع في الدار اين ذهب اهلك؟ عبروا حزوم، مرتفعات، شلوين وكأنهم في رحيلهم قصوا من احشائي قطعتين من اللحم وعملوا منها شواءا على الجمر .

(٤٥) خبية: بيت صغير لايتسع لاكثر من اربعة اشخاص، تسكنه المرأة العجوز ـ الارملة ـ اذا كانت وحيدة، كما يستعمله الصليب لخفته لانهم دائما في حل وترحال .

(٤٦) الشنان: نبات بري ينمو في جزيرة العراق بالقرب من الحدود السورية، وهو نبات موسمي ينمو صيفا ويعضف شتاء، وتأكله الحيوانات وخاصة الابل، وكان يستعمل الشنان في الغسيل حيث يكون رغوة قبل ان يعرف الصابون .

وطريقة استعماله ان يكسر النبات في فصل الخريف وهو لا يزال طريا، وبعد الملابس حيث انه منظف جيد ولازال يستعمل في البادية ولكن على نطاق ضيق . كما يوجد موروث شعبي في حالة الولادة يغسل المولود لاول مرة في نهاية الاسبوع الاول بالشنان .

ومن نبات الشنان يصنع الجلو، والجلو مادة تدخل في تركيبة صبغ قرب اللبن "الشجوة" وصناعة الجلو اختص

بها الصليب، وهي صناعة بسيطة اذ يجمع حطب الشنان في الشتاء ويحرق حيث يتقلص ولا يتحول الى رماد- كمادة بلاستيك - حيث يكون على شكل كتل تشبه الخارصين وتسمى جلو وتباع على هذه الشاكلة.

(٤٧) اسم الراوية: محمد خضر محمود.

تتفق جميع الروايات ان عبد الله الفاضل شفي من مرضه، لكن الاختلاف هو في كيفية شفاءه من مرضه، وطريقة العلاج، ولقد ذكرنا في المتن ان اكثر الروايات قبولا وهي ما اتفق عليها اغلب الرواة، لكن هناك روايات اخرى لابد ن ذكرها للامانة التاريخية. وهي:

الرواية الاولى

تقول هذه الرواية ان عبد الله لم يعالج على يد احد من البشر، بل ان كلبه شير تعود ان يلعقه يوميا صباحا ومساء. وكان عبد الله يعتمد في طعامه على ما يصطاد شير. لأن شير اصلا كان كلب صيد. لذا فان الكلب شير هو المداوي الاول والاخير لصاحبه عبد الله.

اسم الراوية: محمد تايه، الهار الذكر.

الرواية الثانية:

وتفيد هذه الرواية ان قافلة سيارة مرت به فحملوه معهم

حيث عالجوه ببعض الدهونات والادوية الشعبية فتشوهت خلقته ولكنه شفي من مرضه حيث باعوه في السوق كعبد فاشتراه شخص من مدينة حماة وشغله سايس لخيوله.

اسم الراوية: الحاج علي خلف الحمادة البغزاوي

الرواية الثالثة:

هذه الرواية تذكر ان عبد الله لما تركه اهله جر نفسه وسار الى جهة غير معلومة الى ان وصل قرية صغيرة او كما يطلق عليها "كرية" وكان الوقت ليلا فلما دخل المضيف سلم وجلس ولم يعرفه احد ولم يشعر الجلوس به وبخلقته المشوهة. ولما انفلق الصباح شاهد الشيخ حالته احضر له حكيما من الصلبة وبقي عنده يعالجه الى ان شفى من مرضه وبعدها زوجه من ابنته واسكنه بيتا جوار بيته وبقي الى آخر حياته.

اسم الراوية: حسن علي احمد، العمر ٥٤ سنة، المهنة فلاح، العنوان: ناحية السعدية، قرية كوردرة، تاريخ التسجيل ١٩٧٧/١٠/١٠

الرواية الرابعة:

تفيد هذه الرواية ان عبد الله بقى في صيرته ينتظر اجله المحتوم لكنه لم يمت حيث مر به حواج ـ عطار متجول ـ ولما عرفه انه الشيخ عبد الله الفاضل حمله معه على دابته وراح

يعالجه الى ان شفى من مرضه تماما حيث ودعه وسافر.
اسم الراوية: احمد ملا خضر محمد.

الرواية الخامسة:

وهذه الرواية قريبة من الرواية الثانية حيث تذكر ان عبد الله بقي في خلوته ومعه كلبه الى ان مرت به قافلة تجارية متجهة الى الشام فحملوه معهم دون ان يعرفوا من هو حيث سلموه الى الحاكم "الوالي" فتجمل به وامر الحكماء بعلاجه. وبعد فترة من الزمن شفى من المرض واخذ يعمل في اعداد القهوة في ديوان الوالي. وكان عبد الله مشهورا بقهوته ايام كان شيخا يعرفها المتذوقين من العرب شاربي القهوة. فكلما مرت قافلة بذلك الديوان وشربوا من قهوة الوالي تذكروا قهوة عبد الله الفاضل الى ان اصبح الوالي يحب عبد الله فقربه اليه وزوّجه امرأة حضرية واسكنه بيتا في مدينة حماة وبقى الى آخر ايامه.

الرواية السادسة:

وهذه الرواية تفيد ان عبد الله في البداية عود كلبه شير ان يلعق جراحه وبقى على هذه الحال الى ان مر به ابو الخلا - حيث كان ابو الخلا قاصدا الشيخ عبد الله الفاضل وهو غير عالم بما آل اليه. فلما جاءه ووجده على هذه الحال عرض عليه المساعدة مقابل ان يعلمه ابياتا من العتابا. وكان لعبد الله

صديقا يهوديا اسمه مناسيس يعمل طبيبا في مدينة الموصل. فطلب عبد الله من - ابو الخلا - ان يحضر له مناسيس وهذه افضل مساعدة يمكن ان يقدمها له. فما كان من - ابو الخلا - الا ان ركب دابته التي يسميها "بنت الوحش" واتجه الى الموصل حيث احضر مناسيس. ولكنه وجد عبد الله قد تردى حاله من شدة الجوع والعطش ووطأة المرض. فكان مناسيس يعالجه وابو الخلا يحضر له الطعام من لحوم الصيد ويأتيه بقرب الماء الى ان تحسنت حالته حيث سافر مع مناسيس الى بيته بعد ان أسمع - ابو الخلا - ما طلب من ابيات العتابا - العتب على اهله وذويه. ثم بقى عند مناسيس فترة الى ان تماثل للشفاء حيث ودعه وسافر وبذلك يكون كل من شير وابو الخلا ومناسيس قد ساهم في علاج عبد الله.

اسم الراوية: غتران عبد الله محمد - مواليد ١٩٥٠ المهنة معمار. العنوان: شرقاط.

تاريخ التسجيل ١٩٧٦/١٢/١٤ يذكر الراوي انه سمعها عن عمه عكيل محمد المتوفي عن عمر يناهز المائة عام.

(*) بنت الوحش: الوحش حمار وحشي يعيش في صحراء نجد. وهو سريع الجري جدا.

حيث كان الصليب يربطون حميرهم "الشهرية" في وقت التلقيح "عندما تكون عاطفا - اي عاطفة على الذكر" على طريق هذا الحمار ويختبئون. فاذا ما وطأها الحمار فعند نزوله مباشرة يقتلونه. ان حمار الوحش هذا يقتل الدابة التي ليست من فصيلته بعد ان يقضي نزوته منها، حيث تلد

الانثى حمارا هجينا يسمى ابن او بنت الوحش، ويمتاز بسرعة الجري ويكون غالي الثمن.

(٤٨) اسم الراوية: الملا ضيف جار المسعود الجبوري، المهنة مطرب شعبي في اذاعة بغداد، تاريخ الرواية ١٩٧٤/١٢/٢٠.

١- مستر: مرور، من السرور السعادة.

٢- ونابات: انا ابات، اي أنام.

٣- الشف: الشفة، ويقصد بها الشفة السفلى.

٤- الضاحج: الضواحك، اي الاسنان الامامية لانها تبرز عندما يبتسم الانسان. "فهو هنا يعظ الشفة السفلى بالضواحك".

٥- ونابات: الانياب.

٦- تلكاني: تلقني، تجدني.

٧- بهم: في هم، من الهموم.

٨- ونابات: نوبات، اي مرات عديدة.

وفي رواية اخرى يكون النص مغايرا تقريبا ويكون على الشكل التالي:

اتنام الناس مرتاحة ونابات

اعظ الشف بالضاحج ونابات

على طول بقهر تلكاني ونابات

اسفة للدليل على الغثى

(٤٩) اسم الراوية: ابراهيم عبد الله محمد "الملقب أبراهيم البلاط" المهنة حفار اثري، المسكن: شرقاط، تاريخ التسجيل ١٩٧٦/٢/٢٥.

١- دامن: ادمن - فعل امر من الادمان على الشيء والاعتياد عليه.

٢- دامن: استمرت، وهنا تورية وهو يريد ان يقول لنفسه لا تذكري ليالي السعد السابقة والتمني لو انها استمرت، فذاك ماض لا يجدي ذكره.

٣- علواه: عسى من او عسى لو كنت.

٤- دامن: اصل "اللفظة دامة او "دام" وتعني غرفة من الطين تسقف بالخشب والخوص والقصب وتطلى بالطين من الاعلى وهي تستعمل للسكن، ولازال هذا النوع من البناء مستعملا في الريف.

٥- الجناب: اي الاجانب وتعني الغرباء.

(٥٠) البلشتي: هو الرجل الذي يقوم بخدمة الضيوف فقط اذ يقدم لهم الطعام والشراب وهو غير الكهوجي ويسمى ايضا "غلام". كما يطلق عليه "البراك"، حامل الابريق. وقد جاء ذكره في قول الشاعر:

"البن يغلي والبلشتي امهير
والصيخ يشوي من اذناب الكراجير"

(٥١) انظر دحام الجبوري، نفس المصدر السابق، ص١٠٧.
وقد اورد الجبوري تفسيرا لكلمة منزل اضافة الى النص.
١- عز منزل: منزلهم محترم.
٢- منزل: ينزلون في مفترق الطرق حتى تأتيهم الضيوف.
٣- من زل: اي من القصب الذي لا يؤثر على خضرته حر ولا برد.

وقد اعترض عليه الاستاذ عامر رشيد معقبا حول تفسير كلمة منزل الاولى ومنزل الثانية قائلا انه لا يمكن ان يكون للكلمتين نفس المعنى.

فمنزل الاولى تعني انهم يعزون الضيف الذي ينزل عليهم.

اما منزل الثانية فهي اكرام واعزاز الضيف الذي ينزل ويرحل عنهم.

انظر عامر رشيد الشامرائي، التراث الشعبي، العدد "١١، ١٢"، سنة ١٩٧١، ص ١٧٤.

ولنا رأي حول تفسير هاتين الكلمتين:

فمنزل الاولى، وهي من زل، اي من اخطأ أو من ارتكب جريمة ورحل عن عشيرته وجائهم نزيلا فهذا النزيل يعتبر غريبا عن العشيرة فانهم يحمونه ويعزونه.

اما منزل الثانية، فاننا نتفق مع تفسير الجبوري لان من ينزل على مفترق الطرق يكون قاصدا ان تأتيه الضيوف من كل حدب وصوب.

(٥٢) علي الخاقاني: فنون الادب الشعبي، ج٣، ص١٠.

ويوردها الحسني بنفس النص مع اختلاف في بعض الكلمات ولهذا سنورد الرواية كاملة مع الشرح الوارد فيها :

هلي لبسوا خادم من الصوف
ولا كسموا ذبيحتهم من الصوف
هلي يا بيضة الوكعت من الصوف
او كلمن ضاكهة ماظني خاب

المعنى : ان اهلي لا يلبسون خدمهم ثيابا من الصوف ولا يقسمون ذبيحتهم مناصفة فهم كالبيضة الواقعة من الطيور الصافات كل من ذاتها لا يبرأ "بل يموت حتما"

أنظر عبد الرزاق الحسني، الاغاني الشعبية، ص ١٠٦.

وأوردها محمد باقر الارواني، ديوان الهوى والغرام ص٦٠، بنفس النص الذي ورد عند الحسني لكنه لم يورد الشرح.

وقد جاء النص مختلفا تماما في رواية حمودي الوردي وخاصة في الشطرين الثاني والرابع حيث وردت كما يلي :

هلي ما لبسوا خادم من الصوف
ولا خليت مكارمهم من الصوف
هلي بالبيضة النزلت من الصوف
كبل ما صار آدم بالحيا

أنظر حمودي الوردي، الغناء العراقي، ص٥٨.

وهنا يقتضي الحال ان نبين معاني الكلمات وخاصة كلمة

الصوف .

١- من الصوف : ان اهلي لن يلبسوا خدمهم ملابس صوفية خشنة بل يلبسون ناعم القماش لخدمهم .

٢- ولاجزو : لن ينتفوا صوف الذبيحة ليبيعوه بل ليتركونه على الجلد- كناية عن الكرم .

٣- من الصوف : كناية عن الضأن - نوع الذبائح التي ينحرونها للضيوف .

٤- من الصوف : صف الطيور في السماء .

(٥٣) اسم الراوية محمد محمود حسين

١- ما مال : ثابت في مسيره ولم تؤثر عليه الامواج .

٢- هديب : صفة للجمل الخاص بالبيت . وهو الذي تحمل عليه أثاث البيت . ويركب عليه الاطفال ويسمى ايضا جمل البيت . ولازالت لفظه هديب تطلق على الشخص الهادىء البسيط . او الصبور مجازا .

٣- ما مال : لم يمل من كثرة الحمولة وثقلها .

٤- ابكثر : بقدر ما . . .

٥- ما مال : بقدر تقلبات الزمن وتعاقب لياليه .

(٥٤) علي الخاقاني - فنون الادب الشعبي ص ١٠ .

وفي رواية اخرى للحسني يورد نفس النص ويضيف اليه الشرح .

المعنى : كان اهلي زهرة العرب منذ اجيال ومازال اجدادي كاحجار الدر لقد نزل اهلي الدار قبل الخليقة يوم ان

تلطف صاحب الرسالة (ﷺ) بكتابه الكريم.

خدمهم من الملابس الناعمة الثمينة.

انظر عبد الرزاق الحسني - الاغاني الشعبية ص١٠٩.

اما وجهة نظرنا فهي بعد اعطاء معاني الكلمات كما يلي:

١- من دور: من وقت (ويقصد الوقت الذي كان اجداده فيه).

٢- البكايه: البقية الباقية (ويقصد الجيل المعاصر - والذي هو واحد منهم).

٣- من دور: من در- اي من حجر الدر.

٤- من دور: في الدار.

ويقصد (لقد كان اهلي كالزهرة في بقية العرب منذ عهد اجدادي. اما البقية - خلفهم - فهم كأحجار الدر الثمينة. وان اهلي نزلوا (سكنوا) الديار قبل ان تنزل الرسالة السماوية على النبي الكريم محمد ﷺ.

اما الاستاذ الحسني فقد قال (ما زال اجدادي كأحجار الدر، ونسي انه سبقها بكلمة (الابكايه)- وهم البقية. منهم المقصودين باحجار الدر. اما السلف - الاجداد- فقد كانوا زهرة في بقية العرب).

(٥٥) اسم الراوية: محمد طحطوح الجبوري - العمر ٦٠ سنة. العنوان - ناحية حمام العليل تاريخ التسجيل ١٩٧٦/٢/٣.

(٥٦) يقال ان العشيرة العربية هي من (جيس وعدوان) وشيخها هو شيخ جيس وعدوان من اكابر القبائل العربية.

(٥٧) اسم الراوية: شعيب ابراهيم للكاتب حمودي الوردي في كتابه الغناء العراقي ص٥٩. وقد اورد الكاتب الرواية التي ذكرناها في المتن كما أنه اورد النص نفسه.

وكذلك أنظر- ثامر عبد الحسن العامري - غناء ريف العراق. مطبعة الحوادث بغداد ص١٤٧.

وفي رواية اخرى- رواية السيد محمد طحطوح الجبوري يرد اختلاف في النص وخاصة في البيتين الاخيرين مع تشابه في القصة. والبيتان هما:

انجان اهلك نجم اهلي سملهم
جثير من النجم علا وغاب
بينما يرويها الخاقاني مع اختلاف في البيتين اعلاه ايضا:
الناس انجوم وأنه اهلي سملهم
او كل النجم الزها عشوى او عاب
انظر علي الخاقاني - فنون الادب الشعبي ج٣ ص١٠.

ويرد الحسني - بنفس النص مع اختلاف في الشطر الاخير من البيت مع شرح واف لمعنى البيت الاخير:

"جواجب وازهرت ليل الشتا"

الشرح: اهلي لا يلبسون خدمهم الالبسة الرثة. ولهم في سويداء قلوب اعدائهم سم. الناس في الارض واهلي في السماء

كالكواكب المزهرة.

انظر الحسني - الاغاني الشعبية ص١٠٦.

ويرد نفس النص الذي أورده الحسني في رواية الاروائي - محمد باقر ص٦٠.

١- سملهم: ثيابهم القديمة

٢- سملهم: سم لهم. اي ان لهم سموما في قلوب الاعداء بيوتها. واعتقد انها كناية عن حرابهم المسمومة التي تغرس في قلوب الاعداء يوم الطعان.

٣- سملهم: سماء لهم.

والمعنى: ان اهلي لم يعطوا أو يلبسوا خدمهم اسمال الثياب - كما تفعل انت ايها الشيخ - بل كانوا يلبسونهم مما يلبسون. وان اهلي كانوا دائما قاهرين للاعداء. حتى اصبح ذكرهم يخيف الناس. وزيادة في الفخر فان كل الناس تعتبر ارض وان اهلي سماء لهذه الارض يعلوها ويغطيها ويسيطر عليها. كما انهم كواكب في السماء تزين الارض وتضيء لاهل الارض.

(٥٨) اسم الراوية: صبحة العلي الدخيل. ربة بيت، العمر ٦٠ سنة - المسكن - شرقاط - التل. تاريخ التسجيل ١٩٧٥/١/١

١- المحمس: اناء واسع يشبه المقلاة تماما لكنه أكثر سمكا. توضع بداخله حبات البن وتحمس على النار ولهذا

يسمى (المحمس).

٢- الهلاوين: ويميل الاعتقاد الى انها متأتية من كلمة (هواوين) وهي التي تدق فيها القهوة بعد التحميص لكن للضرورة الشعرية قيلت هلاوين.

٣- هلاوين: اهله وين. أي أين اهله. اي ان اهله لا يسألون الضيف عمن يكون او منهم أهله واين يكونون.

٤- بهلاوين: اهلا- تضاعف الكلمة زيادة بالترحيب وحسن الاستقبال وخصوصا للجار.

٥- الطناب: حبال بيت الشعر الوسطية من الجوانب - تسمى (جواسر) وتسمى وتسمى كذلك (طناب).

والمعنى: ان اهلي هم اهل القهوة منذ القدم واهل الضيافة فهم لا يسألون عن ضيفهم من هو وأين أهله بل انهم يرحبون بكل ضيف. كما انهم يمتازون بحسن ضيافتهم للجار الذي ينزل جنبهم فيرحبون به حتى اذا رق اوتاد بيته في بؤبؤ عيونهم.

(٥٩) عادل حريز الدرة - مجلة التراث الشعبي عدد (١١) سنة ١٩٧٧ ص ٢٨٤.

١- الزرد: سلسلة من الحديد.

٢- منجر: لم يتمكن احد على سحبه، كناية عن الشجاعة والمكانة التي يتمتع بها اهله بين العشائر.

٣- منجر: هذه السلسلة تقطع طريق الدوب (السفن) فكل سفينة تصطدم به تنقلب، كناية عن الصلابة.

٤- وانجر: انسحب / ولا اريد ان اصطدم بحميتي.

واتقاتل معهم حتى اذا جاروا علي .

(٦٠) حمودي الوردي ص ٥٨-٥٩ .

(٦١) اسم الراوية : صالح جاسم الصالح - اسديرة وسطى - شرقاط .

١- بظلهم : في ظل الرايات (المقصود هنا الظل الاعتيادي)
٢- بظلهم : في حمايتهم
٣- القيهب : الفارس العنيد .
٤- بظلهم : ظولهم - أي جمعهم .

وفي رواية اخرى يرد نفس النص مع اختلاف في الشطر الأخير .

"هلي باشات ع الشدو اطناب "

والمعنى الاجمالي ان اهلي كالرايات يستظل بها البشر . وهم كرماء وشجعان . فان الخائف اذا وصلهم آمن في حمايتهم . وكل فارس عنيد يضيع ويصبح لا شيء اذا جاء بينهم .

وهم باشات على جميع سكان الصحراء من البدو .

(٦٢) اسم الراوية : عمشة الاحمد (ام ابراهيم) . طقطق - سديرات - الشرقاط .

١- الدواوين .
٢- داوين .
٣- الدواوين :

(٦٣) وحول قصة الرجوع الى اهله تتفق اغلب الروايات على انه رجع الى اهله الا ان الاختلاف هو في كيفية الرجوع. ومن هذه الروايات:

أ- تقول الرواية انه بعد ان شفي من مرضه رافق صاحبه العطار (انظر هامش رقم ٤٧ الراوية الرابعة) حيث بقي معه في بيته الى ان أرجعه اهله بالحيلة التي أشارت عليهم بها زوجته ثريا والتي سبق وان ثبتناها في المتن.

اسم الراوية: ملا خضر احمد. قرية المالحة. قضاء الحضر.

ب- ان عبد الله رافق صاحبه - ابو الخلا- (كما ذكرنا في المتن في موضوع العلاج) بعد ان شفي من مرضه. وتجوالهم على دواوين شيوخ العرب في البادية. وعبد الله يقول العتابا حتى انه قال (٩٩٩) بيتا أو (١٠٠١) بيتا الى ان استضافوا عند شيخ عشيرة جيس وعدوان في حماه، فقال:

"هلي مادارو الميدان بصحون
هلي لعظم الضد يسحون
هلي ما كادوا العاطف يشبون
خلوهن حيل لطراد الضحى"

فلما سمع الشيخ هذا الكلام غضب عليه الا أنه بعد ان عرف انه الشيخ عبد الله الفاضل طرد الصلبي الذي معه واسكن عبد الله بيتا في حماه.

اسم الراوية: محمد فيصل حمش. موصل - نبي يونس العمر ٦٠ سنة، تاريخ التسجيل ١٩٧٥/١/١١.

جـ- ان عبد الله لما سلمته القافلة الى حاكم مدينة في الشام وعالجه الى شفي من مرضه اصبح كهوجي عند الحاكم (انظر هامش ٤٧) وبعدها اصبح فارسا فلما عرف به اهله حاولوا ارجاعه لكنه رفض الى ان دبرت زوجته ثريا الحيلة التي أسر فيها.

اسم الراوية: محجوب مطلك رزج ـ حميدات ـ بادوش.

د- تفيد هذه الرواية ان عبد الله بعد شفاءه من مرضه على يد صاحبه (أبو الخلا) سافر الى اهله ولكنهم لم يعرفوه كما انه وجد كل شيء قد تغير فمجرشة القهوة تحولت الى هاون صغير (نجر) وخنادق الرز تغيرت الى اوان صغيرة فحز ذلك في نفسه كثيرا فأن أنة طويلة حيث سأله احد الجالسين عن سبب أنته هذه فقال:

هلي للشاذري برحي يسحون
هلي لعظم الصند يسحون
هلي ماداروا الميدان بصحون
خنادجهم تملت من عشى

حيث خرج يائسا مما وصلت اليه حال أهله وسافر الى حماة واشتغل يعمل القهوة العربية في مضيف عند شيخ من شيوخ مدينة حماة. وكانت قهوة عبد الله معروفة ومشهورة. حيث أحبه الشيخ كثيرا وزوجه امرأة حضرية وأسكنه بيتا. وفي احد الايام حل رجل من رجال الحسنة ضيفا على هذا الشيخ وعندما شرب القهوة عرفها وقال انني لم أشرب مثل هذا الفنجان الا من يد عبد الله

الفاضل. ألا تكون أنت هو. ولكن عبد الله حاول ان يتجاهل المعرفة. ولكن هذا الرجل عرف عبد الله عرفه حيث رجع الى أهله واخبرهم عن حياة عبد الله ومكان تواجده. حيث فكروا بطريقة لارجاعه وكانت الخطة التي دبرتها - ثريا - ولكنه لم يرجع في هذه الحالة وانما قال "ثريا تلوح والدنيا مسجبه..." وما ان مرت من امامه الضعون حتى لحق بها طوعا وبقي مع زوجاته وأهله طيلة حياته.

(٦٤) اسم الراوية: صالح علاوي الدفلة - الشرقاط - العمر ٧٠ سنة تاريخ التسجيل ١٩٧٧/٤/٢٠.

١- البريجي: الابريق - وهو كناية عن الكرم. حيث يعقب القهوة ابريق الماء لتغتسل ايادي الضيوف قبل أكل الطعام.

٢- البريجي: التي في ريقي.

٣- البريجي: البريق. او البرق الذي يصحب الرعد في الغيوم اثناء هطول المطر.

حيث يذكر عبد الله ان أهله ذوي قهوة مشهورة. كما انهم أناس كرماء حتى ان أباريقهم اصبحت معروفة لكثرة دورانها على الضيوف. اما قهوتهم فلها مذاق خاص بحيث ان مذاق أية قهوة أخرى غيرها يبدو مرا وغير مستساغ. كما انه يوصفهم بالصفة ذي البريق الذي يهطل منه المطر مدرارا بحيث تكون فاتحة للخير والكمأ الذي يوجد في السنين كثيرة الامطار.

ويرد نفس النص في رواية اخرى مشابهة عدا كلمتين. حيث ترد كلمة (افطر) بدلا من كلمة (واجد) فيكون

البيت الاخير "وبيها الروض وفطر الجما "- راجع حمودي - الوردي - ص ٦٠.

ويرويها العامري بنفس النص الذي جاء به الوردي لكن كلمة "حنظل" تغيرت الى كلمة "حمظل" - راجع ثامر عبد الحسن العامري - ص١٤٨.

(٦٥) راجع دحام الجبوري. المصدر السابق ص ١٨٠.

وقد أورد شرحا لمعاني الكلمات اضافة النص.

١- بجرية: قرية مهجورة.

٢- جرية: جريانه.

٣- بجرية: دوران الناعور.

ورد النص نفسه - بدون شرح الكلمات في رواية حمودي الوردي - ص ٦٠.

أما ثامر العامري فقد أورد النص مغايرا بعض الشيء في الشطرين الأول والأخير وكما يلي:

هلي ساروا وخلوني بجريه
بدمعي ما بطل هشله وجريه
ياكلبي شبه ناعور البجريه
يحن الولف ويلوي الركاب

أنظر ثامر العامري ص ١٤٧.

(٦٦) راجع هامش رقم٢٨.

(٦٧) اسم الراوية: محمد تايه.

لكن هذا الراوي يذكر ان الشيخ عبد الله الفاضل قال هذا البيت في خلوته. بينما يذهب راو آخر وهو السيد مصطفى علي أحمد الى انه قال هذا البيت في بيت صديقه في مدينة حماه عندما قدمت وجبة العشاء في صحون صغيرة فلم يعجبه منظر هذه الصحون حيث كان متعودا على الصواني الكبيرة والتي كانت علامة من علامات الكرم.

وهناك رواية اخرى ولكنها ضعيفة تذهب الى انه قال هذا البيت في ديوان تمر باش الملي. اما أغلب الروايات فانها تتفق على قوله البيت اعلاه عند اهله عندما عاد اليهم متنكرا.

١- الشاذري: حبوب البن.

٢- يسحنون: يسحون

٣- يسحنون: يطحنون، او يكسرون.

٤- الميدات: وجبات الطعام.

٥- بسحون: بصحون - في صحون -

٦- خنادجهم: خنادقهم - والمقصود بالخنادق هنا- الصواني الكبيرة التي تشبه الخنادق.

٧- عشى: من وجبة العشاء (فان صوانيهم لاتفرغ من وجبة العشاء مهما كان عدد الناس الاكلين منها).

ومعنى البيت (ان أهلي يطحنون حبوب البن بواسطة الرحى لكثرتها. وهم يسحقون عظام الاعداء ويكسرونها لشدة بأسهم. ولهم من الصواني الكبيرة التي تشبه الخنادق لعمقها وسعتها بحيث تملأ بالطعام في وجبة العشاء ولا تفرغ

مهما كان عدد الآكلين) .

(٦٨) اسم الراوية: محمد فيصل حمش ـ الهار الذكر .

(٦٩) راجع هامش ٢٦ .

(٧٠) الشيخ خلف خالد شحاذه ـ الشرقاط ـ قهارة .

(٧١) اسم الراوية: هايس شهاب عسير ـ الشرقاط ـ مواليد ١٩٠٢ تاريخ التسجيل ١٩٧٦/١/٨

١ـ فهد : حيوان مفترس ولكنه جميل المظهر .

٢ـ وشبياني: وشيبين ـ مثنى ـ مفردها ـ شيب . والشيب هو الشعر الابيض .

٣ـ لاشيت: داعبت او مزحت مع . . .

ـ او شيباني: أشبي ـ أصعد . أو حاول الصعود .

والمعنى : ان حيوان الفهد والمقصود به زوجته قد عضه في قلبه وساعدة شيبين . فعجب هل وجدت غيري لتتركني . فان كان هذا هو الحال فانني مع هذا أحاول الصعود اليك بالرغم من علو مكانك وعدم وجود درج يوصل اليك .

(٧٢) اسم الراوية: محمد خضر محمود ـ موصل زنجيلي .

١ـ وردة البطان: الوردة غير المنفتحة بعد .

٢ـ واللف: الليف ـ نوع من النباتات المتسلقة .

٣ـ الزينات: النساء الجميلات.
٤ـ واللف: تقرح.
٥ـ فكدتج: تذكرتك. أو افتقدتك.
٦ـ واللف: النوم في فراش واحد والعناق.
٧ـ خرصت: قرنصت. اصبحت لا تطيق الحراك من شدة البرد.

والمعنى الاجمالي ان لك خدا يشبه الورد وقلبي متورم من شدة الهوى. وأني تذكرتك في هذا الليل الشديد البرد بحيث ان الذئاب لا تطيق الحركة اما أنا فقد جئت اليك عندما تذكرت ذلك الدفء والعناق الحار.

وفي رواية أخرى ترد القصة نفسها مع اختلاف في النص وكما يلي:

ذريعه(١) شمطه(٢) البطان(٣) واللف(٤)
ولاجلي صاحوا الجلاد واللف(٥)
فكدتج حين طاب النوم واللف
يليل خرصت بيه عودة(٦) الذياب.

١ـ ذريعه: كلمة مصغرة عن ذراعه.
٢ـ شمطه: زهرة.
٣ـ البطان: هنا تعني الذرة قبل ان يجنى الثمر ـ تسمى بطان.
٤ـ واللف: ملفوف.

هـ- واللف: حاضر. جاهز.

٦- عودة: عجوز- عودة الباب - الذئب الهرم.

(٧٣) معلوف - لويس معلوف - المنجد ط١٣ مطبعة الكاثوليكية - بيروت - ص٥٠٤-٥٠٥.

(٧٤) أبن سيدة المخصص - السفر١٢- ١٣١٩ هـ بولاق ص١٧٩.

(٧٥) الحنفي - محي الدين. تاج العروس. القسم الثالث من الجزء الاول ص٨٢-٨٣.

(٧٦) حمودي الوردي - الغناء العراقي - ط١ مطبعة اسعد- بغداد ١٩٦٤ ص٥٧.

(٧٧) عبد الرزاق الحسني - الاغاني الشعبية - ط١ مطبعة النجاح، بغداد ١٩٢٩ ص٣٣.

(*) ان العتابا لم تقتصر على الانتهاء بالياء والالف المقصورة بل هناك حروف اخرى تنتمي اليها العتابا سنذكرها مفصلة مع امثلة عديدة عليها في باب قاعدة النظم.

(٧٨) الجبوري دحام - الشعر عند العشائر البدوية المستقرة - مجلة التراث الشعبي. عدد(٨،٧) السنة الثانية ١٩٧١ ص١٠٦.

(٧٩) الخاقاني علي - فنون الشعر الشعبي. ج٣ ص٨-٩.

(٨٠) يوسف (اسامة ناجي) الوان من الاغاني الشعبية الفلسطينية - مجلة التراث الشعبي. العدد ٣٢٢ السنة السادسة ١٩٧٥ ص١٠١-١٠٢.

(٨١) اسم الراوية: مطلك فرحان ناصر. مواليد ١٩٢٨. المهنة فلاح - الشرقاط - اسديرة عليا- التسجيل ١٩٧٧/٩/١٥.

(٨٢) دحام الجبوري - الشعر عند العشائر البدوية المستقرة - مجلة التراث الشعبي العددان ٧-٨. سنة ١٩٧١ ص١٠٦-١٠٧.

(٨٣) اسم الراوية: عطيه حسن الجبوري - قضاء الشرقاط - ناحية الشورة مواليد ١٨٩٥ م.

(٨٤) عادل حريز الدرة - التراث الشعبي عدد ١١ السنة الثامنة ص٢٨٤.

(٨٥) اسم الراوية: مجهول - غجري عجوز، امتنع عن التصريح بأسمه الحقيقي. تاريخ الرواية ١٩٧٧/٩/١٤

(٨٦) إسم الراوية: محمود صالح الحمادة - العمر ٦٠ سنة - اجميلة الشرقاط كان في فترة الحكم الملكي في سوريا وفي الحكم

الجمهوري رجع الى العراق وهو مرجع لادب البادية وتراثها غير المكتوب. تاريخ التسجيل ١٤/٧/١٩٧٦.

(٨٧) البابور: كلمة عامية تطلق على نوع من السفن وتسمى في العراق "المراكب".

(٨٨) اسم الراوية: جبر احمد الصحن. تولد ١٩٣٠- شرقاط اسديرة سفلى. عمله فلاح. تاريخ التسجيل ٣٠/١٢/١٩٧٦.

(٨٩) عبد الكريم العلاف - الطرب عند العرب ط٢ ص٢٢٥ وموجز الاغاني العراقية. وعلي الخاقاني - فنون الادب الشعبي ج٣ ص٨.

(٩٠) العتاب: من آل حميد. نخوتهم (صلفه) ورئيسهم (يوسف الرهن). وهم من اراضي صديفه ومن (البو حمد) و(آل جريم) و(البو صكن) و(الدغيرات) و(البورامي) وهم من العشائر الزبيدية - الحميرية - وكانوا يسكنون (الرفاعي). انظر عباس العزاوي. عشائر العراق ج٣ ص٥٤،٥٦.

(٩١) العتيبة: فخذ من عشيرة حجام. التي هي من عشائر بني مالك. وتسكن قضاء سوق الشيوخ من جانب الجزيرة ونخوتهم - زيود او مزايدة - وقسم من العتيبة تسكن الشامية

في الزغيلية وأم الطبول. والعتيبة فرعان آل سحيل وآل خنفيس. انظر عباس العزاوي ـ عشائر العراق ج٤ ص٣٨-٣٩.

(٩٢) عبد الرزاق الحسني ـ الاغاني الشعبية ط١ ج١ بغداد ١٩٢٩ ص١٠٥. ومحمد باقر الارواني ـ ديوان الهوى والغرام ـ ج٢ مطبعة الحكيم ـ النجف الاشرف ١٩٦٢ ص٥٩.

(٩٣) علي الخاقاني ـ فنون الادب الشعبي ج٣ ص٩.

(٩٤) عبد الكريم العلاف ـ الطرب عند العرب ط٢ بغداد ١٩٦٣ ص ٢٢٥.

(٩٥) د. عارف ثامر ـ العتابا أهلها وأصولها ـ التراث الشعبي عدد ٧ ـ السنة الثامنة ص٧٩.

(٩٦) ثامر عبد الحسن العامري ـ غناء ريف العراق ـ مطبعة الحوادث بغداد ص٤٨.

العلاف ـ الطرب عند العرب ط٢ ص٢٢٥.
حمودي الوردي ـ الغناء العراقي ص٥٧.

(٩٨) اسم الراوية: الشيخ سطم حمد الرملاوي. مواليد

١٩٠٥ مهنته فلاح ـ الشرقاط ـ اسديرة عليا .

(٩٩) اسم الراوية: مطلك فرحان ناصر. مواليد ١٩٠٥ فلاح ـ شرقاط .

(١٠٠) اسم الراوية: صالح علاوي دفله ـ مواليد ١٩٠٩، مهنته كاسب ـ شرقاط ـ أجميلة .

(١٠١) عادل حريز الدرة: تعقيب على مقال العتابا ـ أهلها وأصولها ـ التراث الشعبي العدد ١١ السنة الثامنة، ١٩٧٧ ص٢٨٤ .

(١٠٢) شعوبي ابراهيم ـ المقامات ط١ مطبعة اسعد بغداد ١٩٦٣ ص٨٧-٨٩ .

(١٠٣) د . عارف ثامر ـ العتابا أهلها وأصولها ـ التراث الشعبي عدد ٧ السنة الثامنة ـ ١٩٧٧ ص٧٩ .

(١٠٤) عادل حريز الدرة. المصدر نفسه ١٠١ ص٧٩ .

(١٠٥) شعوبي ابراهيم ـ نفس المصدر ١٠٢ ص٨٧ في الهامش .

(١٠٦) نفس المصدر ١٠٣ ص٧٩ .

(١٠٧) ان هذه الانواع الاربعة من تقسيمات السيد ثامر عبد الحسن العامري في كتابه ـ غناء ريف العراق ـ ص١٤٧-١٤٨.

(١٠٨) اضاف النوع الخامس حافظ العتابا والمتتبع لاخبارها السيد جاسم نايف عبد الرحمن ـ موظف في الخطوط الجوية العراقية ـ مطار بغداد الدولي.

وهناك قسم من الباحثين يجعلها ثلاثة اقسام وهي:

الاول ينتهي بالالف والباء مثل:

اريد اصعد جبل حمرين وركه
ودور عالولف سنتين وركه
متى ما خضرت بالملح وركه
ذاك اليوم يلفون الاحباب

والثاني ينتهي بالالف الممدودة مثل:

هلي ما لبسوا خادم من الصوف
ولاخليت مكارمهم من الصوف
هلي بالبيضة النزلت من الصوف
كبل ما صار آدم بالحيا

والثالث ينتهي بالالف المقصورة مثل:

تعيرني بحني الظهر والشيب
وسني يدعج الفولاذ والشيب

آنه مثل ابو سرحان لو شب
اجدامه ما تجل من السرى .

أنظر حمودي الوردي ـ الغناء العراقي ـ ص٥٧-٥٨ .

بينما يجعلها الاستاذ العلاف اثنان الأول يختم بباء ساكنة والثاني بألف مقصورة واحيانا ممدودة ـ وهنا جمع الاستاذ العلاف بين الالفين وجعلها واحد ـ واليك الامثلة :

الأول :

نشدت اني الهتيمي وكال مامش
وجلفت البيابي بكثر مامش
وشيبني زماني بكثر مامش
اجدامي فوك عالية الارتاب

الثاني :

أبات الليل جن بحشاي جانون
عفه عالحاجبه مجرور جانون
بزرع الكلب ما يرويه جانون
مود آذار بسنين السخا

أنظر عبد الكريم العلاف . موجز الاغاني العراقية ج١ ط١ مطبعة الايتام بغداد ١٩٣٣ .

(١٠٩) د . صبحي أنور رشيد ـ الالات الموسيقية في العصور الاسلامية ـ بغداد ١٩٧٥ ص ٢٢٥ .

(١١٠) هناك انواع اخرى من الرباب منها الرباب المغربي المستعمل في المغرب والجزائر وتونس وليبيا ثم الرباب التركي الذي أنتشر استعماله في بلاد البلقان.

(١١١) نفس المصدر (١٠٩).

(١١٢) العلاف - الطرب عند العرب - ص١١٧.

(١١٣) اقتبست أوربا آلة الرباب من العرب. كلمة الرباب تطلق على جميع الالات الوترية ذات القوس ومنها الالة المعروفة باسم الرباب المغربي. وبالاضافة الى الربابة فقد انتقلت آلة الجوزة وعرفت في اللغات الاوربية بأسم Rubella (Rebee) Rubele (Rubeca) اي ان اوربا اقتبست حتى التسمية العربية للآلة. ويشهد بذلك باحثون اوربيين.

اما متى وكيف انتقلت هذه الالات الى أوربا؟

فالمعروف ان أوربا عرفت الالات (الرباب) منذ القرن الحادي عشر الميلادي وانتقلت اليها بواسطة العرب عن طريق الاندلس وصقلية وظلت التسمية سائدة حتى القرن الرابع عشر الميلادي. حيث ظهر اسم جديد هو (فيول) أو (فيولا) ومعناها الوتر.

أنظر د.صبحي رشيد- الآلات الموسيقية في العصور الاسلامية ص٢٣٥-٢٣٦.

(١١٤) العلاف - الطرب عند العرب ص١١٧-١١٨.

(١١٥) د. عارف ثامر - نفس المصدر السابق ص ٧٩.

(١١٦) نسبة الى البو عكله وهم فخذ من عشيرة العبيد المعروفة.

(١١٧) هذا الرجل لم نعثر له على نسب في المصادر.

(١١٨) علي الخاقاني - فنون الادب الشعبي - ج٣ ص٩.

(١١٩) نفس المصدر اعلاه ص٩.

(١٢٠) العلاف - موجز الاغاني العراقية - ص٤١.

(١٢١) الكاوليه: اناس في منزلة منحطة في نظر القبائل العربية وليس لهم منزلة عشائرية.

(١٢٢) العلاف - موجز الغناء العراقي - ص٤٠.

(١٢٣) اما بنات الكاوليه فيحترفن الرقص والغناء مقابل المال. حيث يحيين السهرات على صوت الربابة. وتمتاز أغانيهم بالاغاني الجماعية الخفيفة. حيث يرددن اغان خفيفة مع حركات ايقاعية راقصة مثل:

جيبولي جدر النيل ارد اصبغ الثوب
توه انتهى الدلال منهم فردنوب
وما شاكل ذلك.

الفهرست





مطبعة الديواني - بغداد
هاتف : ٨٨٧٦١٩٧